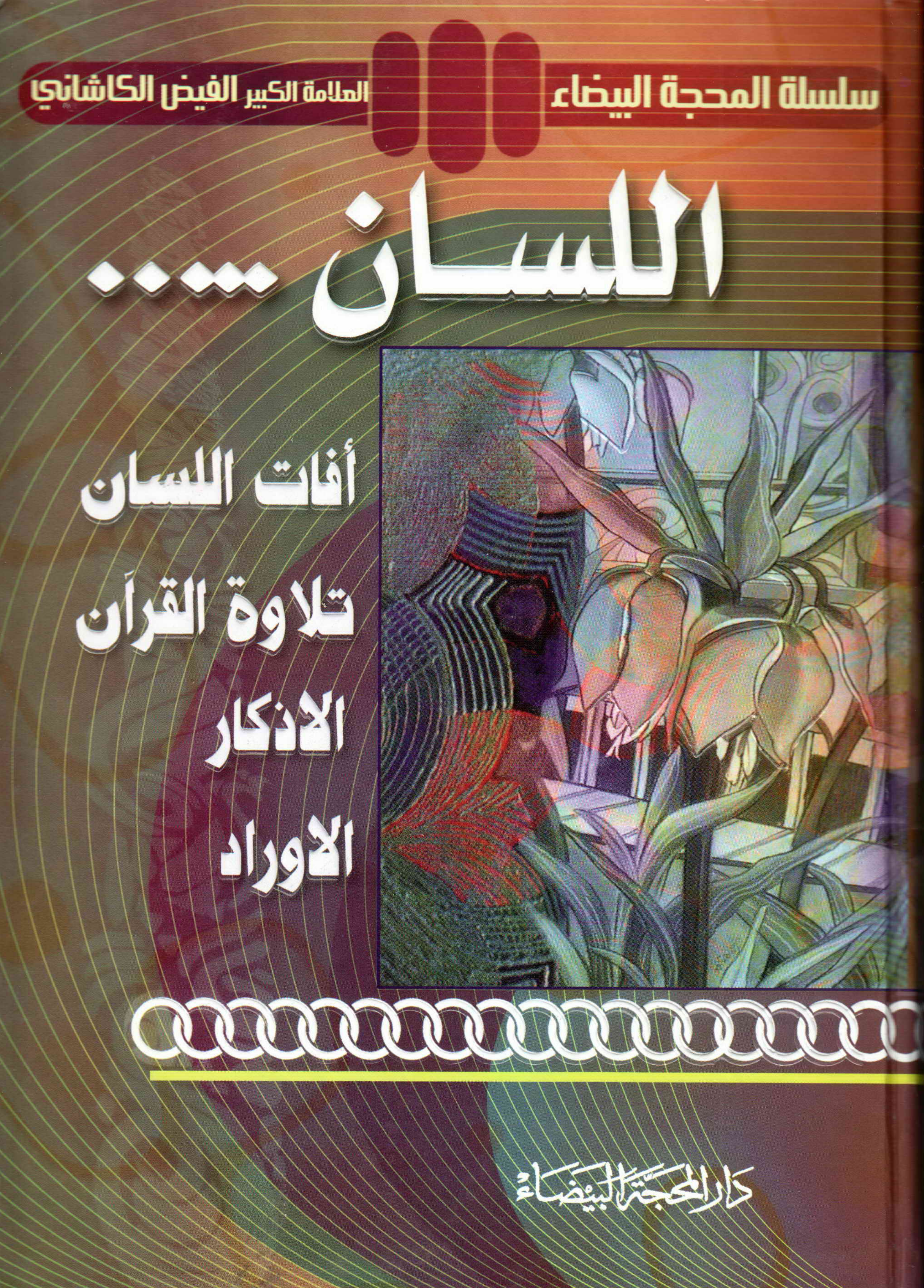

سلسلة المحجة البيضاء
العلامة الكبير الفيض الكاشاني
اللسان ...
أفات اللسان
تلاوة القرآن
الاذكار
الاوراد
دار المحجة البيضاء

اللسان .....


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة المحجة البيضاء

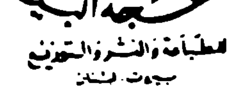
اللسان .....

آفات اللسان - تلاوة القرآن - الأذكار - الأوراد

العلامة الكبير الفيض الكاشاني

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

مقدمة

إن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة. فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته. إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان. ثم إنه ما من متخيّل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله أو يتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما هو متناول العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل. وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء.

واللسان رحب الميدان ليس له مردّ ولا لمجاله منتهى ولا حدّ. ففي الخير له مجال رحب وفي الشرّ له مجرى سحب، فمن أطلق لسانه، وأرخى له العنان وأهمله، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطرَّه البوار:

«ولا يكبّ الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

ولا نجاة من شر اللسان إلا عندما يقيّد بلجام الشرع، فلا يطلقه الإنسان إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفّ عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

وإن علم ما يحمد إطلاق اللسان فيه أو يذمّ غامض عزيز، والعمل بمقتضاه ثقيل عسير. فإن أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، إذ لا تعب في تحريكه ولا مؤونة في إطلاقه. وقد يتساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله. فاللسان أعظم آلة

للشيطان يستعملها لإغواء الإنسان. . .

ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره سنفصّل الكلام في آفات اللسان وسنذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها، ثم سنعرف طريق الاحتراز منها بعد أن نورد ما ورد في الأخبار والآثار في ذمها.

مخاطر اللسان وفضيلة الصمت

إن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، ولذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال النبي الأكرمﷺ:

«من صمت نجا»[1].

وقالﷺ:

«الصمت حكم وقليل فاعله»[2] أي هو حكمة.

سأل رجل رسول اللهﷺ:

«أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك، قالﷺ: قل آمنت بالله ثم استقم، قلت: فما أتقي؟ فأومأ بيده إلى لسانه»[3].

وسئل رسول اللهﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقالﷺ:

«تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الأجوفان؛ الفم والفرج»[4].

---

(١) أخرجه أحمد: ج٢ ص١٧٧.

(٢) الجامع الصغير.

(٣) أخرجه ابن ماجة: رقم ٢٩٧٢.

(٤) أخرجه ابن ماجة: رقم ٤٢٤٦.

وقال معاذ: قلت لرسول الله ﷺ: أنؤاخذ بما نقول؟ فقال:

«ثكلتك أمك يابن جبل، وهل يكبّ الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

قال رسول الله ﷺ:

«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»[2].

وقال ﷺ:

«من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت»[3].

وعن النبي الأكرم ﷺ أيضاً أنه قال:

«إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي اللسان؛ أي تقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»[4].

وقال ﷺ:

«إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[5].

وقال ﷺ:

«من كفّ لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره»[6].

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ٣٩٧٣.

(٢) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٢٨.

(٣) المصدر السابق: ج٣ ص٥٣٦.

(٤) أخرجه الترمذي: ج٩ ص٢٤٧.

(٥) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٣٤.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

وروي أن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ أوصني؛ فقال:

«اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله، وأشار بيده إلى لسانه»[1].

وقال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن؛ الصمت وحسن الخلق»[2].

وقال ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[3].

وقال ﷺ:

«اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان»[4].

وقال ﷺ:

«إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرء على ما يقول»[5].

وقال ﷺ:

«إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة»[6].

---

(١) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٣٢.
(٢) المصدر السابق: ص٥٣٣.
(٣) أخرجه مسلم: ج١ ص٤٩.
(٤) الترغيب: ج٣ ص٥٣٢.
(٥) الدر المنثور: ج٦ ص١٠٥.
(٦) أخرجه ابن ماجة: رقم ٤١٠١.

وروي أنه جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة فقال:

«أطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق فكفّ لسانك إلا من خير»[1].

وقال النبي الأكرم ﷺ:

«إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبّره بقلبه، ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبّره بقلبه»[2].

وروي أنهم قالوا لعيسى عليه السلام:

«دلنا على عمل ندخل به الجنة، قال: لا تنطقوا أبداً. قالوا: لا نستطيع على ذلك، قال: فلا تنطقوا إلا بخير».

وقال نبي الله عيسى عليه السلام:

«العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار عن الناس».

وعن النبي محمد ﷺ أنه قال:

«من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق، وجفّ به القلم،

---

(١) أخرجه الطيالسي: رقم ٧٣٩.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط.

وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة، وفيه رضا الرب، وتخفيف الحساب، والصون من الخطايا والزلل. قد جعله الله ستراً على الجاهل، وزيناً للعالم، ومعه عزل الهوى، ورياضة النفس، وحلاوة العبادة، وزوال قسوة القلب، والعفاف والمروّة والظرف، فأغلق باب لسانك عمّا لك منه بدلاً سيما إذا لم تجد أهلاً للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله.

وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاساً بين يديه فيكتب كل ما يتكلم به، ويحاسب نفسه عشيّته، ما له وما عليه، ويقول: أوه نجا الصامتون وبقينا.

وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع حصاة في فمه فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها. إن كثيراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتنفسون تنفّس الغرقى ويتكلمون شبه المرضى، وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت، فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت ومن أشرف على ما في لطايف الصمت وائتمنه على خزائنه كان كلامه وصمته كلّه عبادة ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال:

«الكلام إظهار ما في القلب من الصفا والكدر، والعلم والجهل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرء مخبوء تحت

(١) مصباح الشريعة: الباب السابع والعشرون في الصمت.

لسانه، فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة، فإن كان لله وفي الله فتكلموا به، وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه. وليس على الجوارح عبادة أخفّ مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام فيه رضا الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده. ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسرّ إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والأمم.

فثبت بذلك أنه أفضل الوسائل وألطف العبادة. وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدها ملامة، وأعجلها سآمة عند الخلق منه. واللسان ترجمان الضمير، وصاحب خبر القلب، وبه ينكشف ما في سرّ الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة. والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله. وليس شيء أحق بطول السجن من اللسان. قال بعض الحكماء:

احفظ لسانك عن خبث الكلام وفي غيره لا تسكت إن استطعت فأما السكينة فهو هيئة حسنة رفيعة من الله عز وجل لأهلها، وهم أمناء أسراره في أرضه»[١].

سبب فضيلة الصمت:

إن سبب فضيلة الصمت هو كثرة آفات اللسان، من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء والخصومة والفضول والخوض في الباطل وإيذاء الخلق وهتك العورات. . .

---

(١) مصباح الشريعة: الباب السادس والأربعون في الكلام.

فآفات اللسان كثيرة لها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلّما يقدر على أن يحفظ اللسان فيطلقه بما يجب ويكفّه عما لا يجب، لأن ذلك من غوامض العلم.

فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من دوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر، والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1].

ويدلّك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام:

١ـ قسم هو ضرر محض.

٢ـ قسم هو نفع محض.

٣ـ قسم فيه ضرر ومنفعة.

٤ـ قسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر المنفعة. أما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع للوقت. فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ لا يأمن الإنسان من أن يخالطه في الرياء والتصنع والغيبة وفضول الكلام امتزاجاً يخفى دركه فيكون الإنسان به في خطر عظيم. أما من عرف دقائق آفات اللسان وعلم قطعاً أن ما ذكره رسول الله ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: «من صمت نجا»، فقد أوتي جواهر الحكم وجوامع الكلم. ولا أحد يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

لذا سنبدأ بذكر آفات اللسان ما يعرفك حقيقة كل آفة، وسنبتدىء بأخفها ثم نترقى إلى الأغلظ فالأغلظ، ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب، وهي عشرون آفة:

آفات اللسان

١ ـ الكلام فيما لا يعني الإنسان

إن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات، وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على غيرك. أما لو تكلمت بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فإنك بذلك تضيّع وقتك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وستحاسب على ما اجترحه لسانك.

أما لو صرفت وقت الكلام الذي لا طائل منه بالتفكر فلربما انفتح لك من نفحات رحمة الله ما يعظم جدواه. فلو هلّلت الله وسبّحته وذكرته لكان خيراً لك، فكم من كلمة يبنى بها في الجنة قصر!

فمن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز ثم أخذ بدلاً عنه مدرة لا ينتفع بها كان خاسراً. وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم إلا أنه خسر بسبب ما فاته من الربح العظيم الذي أعد له فيما لو انشغل بذكر الله.

فالمؤمن لا يكون صمته إلا فكراً ونظره إلا اعتباراً ونطقه إلا ذكراً كما قال رسول الله ﷺ:

«إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة...»[١].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٣٧.

فرأس مال العبد وقته، فإذا صرفه فيما لا يعنيه ولم يدّخر به ثواباً في الآخرة فإن رأس ماله سيضيع ولهذا قال النبيﷺ:

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(١).

روي أن غلاماً استشهد يوم أحد ووجدوا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمّه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك الجنّة يا بني، فقال النبيﷺ:

«وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضرّه»(٢).

قال أبو ذر (رض) قال لي رسول اللهﷺ:

«ألا أعلّمك بعمل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك»(٣).

إن تسأل غيرك عما لا يعنيك تكون بسؤالك هذا مضيع لوقتك، وتكون قد ألجأت صاحبك أيضاً بجوابه إلى تضييع وقته. هذا إذا سلم سؤالك من الآفة، وأكثر الأسئلة فيها آفات!.

فإنك إن سألت غيرك مثلاً عن عبادته فتقول: هل أنت صائم؟ فإن قال: نعم، كان مظهراً عبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل الرياء عليه سقطت عبادته من ديوان عبادة السرّ، وعبادة السرّ أفضل من عبادة الجهر بدرجات.

وإن قال: لا، كان كاذباً، وإن سكت كان مستحقراً إياك فتتأذى

---

(١) أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٩٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي: ج٩ ص١٩٦.

(٣) الترغيب: ج٣ ص٥٣٣.

به. وإن احتال لردّ الجواب احتاج إلى جهد وتعب. إذاً فقد عرّضته بالسؤال إما للرياء أو الكذب أو الاستحقار أو للتعب.

وكذلك هو الأمر عند سؤالك عن سائر عباداته، وعن كل ما يخفيه أو يستحي من إظهاره...

وكمثال على السؤال عما لا يعنيه ما يروى عن لقمان أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدّرع ولم يكن لقمان قد رآها من قبل، فجعل يتعجّب مما يرى وأراد أن يسأل داود عليه السلام عن ذلك ولكن منعته حكمته. فأمسك نفسه ولم يسأله حتى فرغ منها فقام داود ولبسها وقال: نِعْمَ الدِّرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حكم (حكمة) وقليل فاعله.

وأما السبب الباعث على السؤال عما لا يعنيه فهو الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تمضية الوقت بحكايات لا فائدة منها.

وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأن نفسه في هذه الحياة هو رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين وهذا العلاج من حيث العلم. أما علاج هذه الآفة من حيث العمل فيكون بالعزلة ولزوم السكوت عما لا يعنيه حتى يتعود اللسان على ترك ما لا يعنيه.

٢ ـ فضول الكلام

إن فضول الكلام مذموم أيضاً، وهو أيضاً من مصاديق خوض الإنسان فيما لا يعنيه. فإن ما يعنيه يمكن ذكره بكلام مختصر، فإذا تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين كانت الثانية فضول أي فضل على الحاجة. وهو أيضاً مذموم وإن لم يكن فيه إثم أو ضرر.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1].

وقال الرسول الأكرم ﷺ:

«طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله»[2].

وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فقالوا: أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت أطولنا علينا طولاً وأنت الجفنة الغرّاء، وأنت وأنت... فقال ﷺ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٢) الدر المنثور: ج٢ ص٢٢١.

«قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان»[1].

إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها.

فالمؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له خيراً تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما يرسل لسانه رسلاً رسلاً.

وروي أن رجلاً تكلم عند النبي ﷺ فأكثر فقال النبي ﷺ:

«كم دون لسانك من باب؟ فقال: شفتاي وأسناني قال: أما كان في ذلك ما يردّ كلامك»[2].

وفي رواية أخرى أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ﷺ:

«ما أوتي رجل شراً من فضل في لسان».

ومن فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، فإن الاستماع سلامة وفي الكلام تزيّن.

فهذه هي مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه، وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

٣ ـ الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي كحكايات أحوال النساء ومجالس الخمر والفساق، وتنعّم الأغنياء وتجبّر الملوك، فإن كل ذلك مما لا يحلّ الخوض فيه، وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك للأولى ولا حرمة فيه.

نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا بد أن يغلب عليه الخوض في الباطل. وأكثر الناس في مجالسهم لا يعدو كلامهم التفكّه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل.

وأنواع الباطل لا يمكن أن تحصى لكثرتها، لذلك لا مخلص منها إلا الاقتصار على ما هو مطلوب ومفيد في أمور الدين والدنيا.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ به ما بلغت فكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ:

«إن الرّجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها

---

(١) أخرجه أحمد: ج٣ ص٤٦٩.

أبعد من الثريا»[1].

وقال ﷺ أيضاً:

«أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل»[2].

وإليه الإشارة بقول الله تعالى:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾[3].

وبقوله عز وجل:

﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[4].

وروي أن رجلاً من الأنصار كان يمر بمجلس فيقول: توضأوا فإن بعض ما تقولون شرّ من الحدث. فهذا هو الخوض في الباطل، ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة، فإن الحديث في ذلك كله خوض في الباطل.

---

(١) أخرجه البغوي في المصابيح: ج٢ ص١٥٣.

(٢) الدر المنثور: ج٣ ص٢٢٢.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

٤ ـ المراء والمجادلة

إن المراء والمجادلة منهي عنهما لقول الرسول ﷺ:

«لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه»[١].

وقال النبي ﷺ:

«ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته»[٢].

وقال ﷺ أيضاً:

«من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة»[٣].

وقال النبي الأكرم محمد ﷺ:

«إنّ أوّل ما عهد إليّ ربي ونهاني عنه عبادة الأوثان وشرب الخمر وملاحاة الرجال»[٤].

وقال ﷺ:

«ما ضلّ قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي: ج٨ ص١٦٠.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.
(٣) أخرجه الترمذي: ج٨، ص١٥٩.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي.
(٥) أخرجه أحمد: ج٥ ص٢٥٢.

وقال ﷺ:

«لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدل وإن كان محقاً»[1].

وقال ﷺ:

«ستّ من كنّ فيه بلغ حقيقة الإيمان: الصيام في الصيف، وضرب أعداء الله بالسيف، وتعجيل الصلاة في يوم الدَّجن، والصبر على المصائب وإسباغ الوضوء على المكاره، وترك المراء وهو صادق»[2].

وقال نبي الله عيسى عليه السلام:

«من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروّته، ومن كثر همّه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه».

وقال النبي محمد ﷺ:

«تكفير كل لحاء ركعتان»[3].

حد المراء:

أما حد المراء فهو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم.

وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض. فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدّق به وإن كان باطلاً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه. والطعن في كلام الغير:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير.

(٣) المصدر السابق نفسه.

ـ تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة النظم والترتيب. .

ـ وأخرى في المعنى بأن يقول: ليس كما تقول وقد أخطأت فيه لكذا وكذا.

ـ وتارة أخرى في قصده، كأن يقول: هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض.

والمراء إن جرى في مسألة علمية ربما خصّ باسم الجدل وهو أيضاً مذموم، بل الواجب السكوت عنه، أو السؤال في معرض الاستفادة لا على سبيل العناد والنكارة.

فالمجادلة إنما هي عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه من جهة القدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل.

والباعث على المجادلة هو الترفّع بإظهار الفضل والتهجّم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان. أما إظهار الفضل فمنشؤه تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلوّ والكبرياء وهي من صفات الربوبية.

أما تنقيص الآخر فهي من مقتضى طبع السبعية، التي تقتضي أن يمزّق الإنسان غيره ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان ومهلكتان، وقوتهما إنما تكون بالمراء والمجادلة.

والمماراة لا تنفك عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن ينتصر لكلامه بما يمكنه من حق أو باطل. فيثور التشاجر بين المتمارين كما يثور التهارش بين الكلبين، يقصد كل واحد منهما أن يعضّ صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه.

أما علاج المراء والجدل فهو بأن يكسر المجادل الكبر الباعث له

على إظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره. فإن علاج كل علّة بإماطة سببها، أما المواظبة عليها فتجعلها عادة وطبعاً حتى تتمكن من النفس.

وأكثر ما يغلب المراء والجدل في العقائد والمذاهب، فإن المِراء طبع، فإذا ظن المجادل أن له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه. وهذا خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة، فإذا رأى مبتدعاً تلطف عليه في نصحه من دون مجادلة. ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«رحم الله من كفّ لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه»[1].

وكل من تعود المجادلة مدّة وأثنى عليه الناس بسببها فازداد عزاً وقبولاً قويت فيه هذه المهلكة فلا يستطيع عنها نزوعاً خصوصاً إذا اجتمع عليه معها سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزّز بالفضل. وكل واحدة من هذه الصفات يشق مجاهدتها لوحدها فكيف بمجموعها معاً!!.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا.

٥ ـ المخاصمة

الخصومة أيضاً مذمومة وهي وراء المراء والجدال. فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزيد الكياسة، والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. أما الخصومة فهي لجاج في الكلام ليستوفى به مال أو حقّ مقصود، وهذا تارة يكون إبتداء وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق. قال رسول الله ﷺ:

«إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم»[١].

وقال ﷺ:

«من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع»[٢].

وهذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق ولكن بغير علم. أما المظلوم الذي ينتصر لحجته عن طريق الشرع من غير إسراف ولا زيادة على الحاجة ومن غير قصد الإيذاء ففعله هذا ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً. لأن ضبط اللسان عند المخاصمة شبه متعذر، كما أن المخاصمة توغر الصدر وتهيّج الغضب،

(١) الدر المنثور: ج١ ص٢٣٩.

(٢) أخرجه الطبراني في حديث جابر.

فإذا استعرت نار الغضب نسي الغاضب أمر ما هو متنازع فيه، وحلّ الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة صاحبه ويحزن بمسرّته، فيقوم ويطلق اللسان في عرضه.

وكل من ابتدأ بالخصومة فهو عرضة لهذه المحذورات، التي أقلها تشويش الخاطر، حتى يصل البعض إلى محاجة خصمه أثناء اشتغاله بالصلاة.

فالخصومة إذاً مبدأ كل شرّ وكذلك الجدال والمراء، لذا ينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب من تبعات الخصومة وهذا صعب ومتعذر في الغالب.

فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم، وأقل ما يفوت الإنسان عند المخاصمة أو المراء أو الجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب، إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة.

ولا خشونة أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما التجهيل أو التكذيب. فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه، فيفوت به طيب الكلام.

قال رسول الله ﷺ:

«يمكّنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام»[1].

وقال الله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2].

وقال عز اسمه أيضاً:

---

(١) أخرجه الطبراني في حديث جابر.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1].

وقال رسول الله محمد ﷺ:

«إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام»[2].

وروي أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال:

«مرّ بسلام، فقيل: يا روح الله تقول هذا للخنزير؟ فقال عليه السلام: أكره أن أعوّد لساني الشرّ».

وقال الرسول الأكرم ﷺ:

«الكلمة الطيبة صدقة»[3].

وقال ﷺ:

«اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تكن فبكلمة طيبة»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي: ج١٠ ص٥.

(٣) أخرجه مسلم: ج٣ ص٨٣.

(٤) أخرجه البخاري: ج٨ ص١٤.

٦ ـ التشدّق بالكلام

من آفات اللسان أيضاً التشدق بالكلام وتكلّف السجع والفصاحة والتصنع فيها بالتشبيبات والمقدمات، وما جرت عليه عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة. فذلك كله من التصنّع المذموم والتكلّف الممقوت الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

«أنا والأتقياء من أمتي براء من التكلّف»[١].

وقال ﷺ:

«إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدّقون»[٢].

وقال ﷺ:

«شرار أمتي الذين غذّوا بالنعيم، يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام».

وقال ﷺ:

«ألا هلك المتنطعون ـ ثلاث مرات ـ»[٣].

---

(١) الدر المنثور: ج٥ ص٣٢١.

(٢) أخرجه الترمذي: ج٨ ص١٧٥.

(٣) أخرجه مسلم: ج٨ ص٥٨.

والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فالتشدق بالكلام من آفات اللسان، ويدخل فيه أيضاً كل سجع متكلّف والتفاصح الخارج عن حدّ العادة.

فينبغي أن يقتصر الإنسان في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام تفهيم الغرض، وما وراء ذلك تصنّع مذموم. ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير في غير إفراط لأن المقصود منهما تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير في القلب. أما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها التسجّع والتشدق، والاشتغال بها من التكلّف المذموم، والذي لا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتمييز بالبراعة، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

٧ ـ السبّ وبذاءة اللسان

الفحش منهي عنه وهو مذموم، ومصدره الخبث واللؤم، قال رسول الله ﷺ:

«إياكم والفحش فإن الله لا يحبّ الفحش ولا التفحّش»[١].

ونهى رسول الله ﷺ أن تسبّ قتلى بدر من المشركين فقال:

«لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون، وتؤذون الأحياء، إلا أن البذاء لؤم»[٢].

وقال ﷺ:

«ليس المؤمن بالطّعان ولا الفاحش ولا البذيّ»[٣].

وقال ﷺ:

«الجنّة حرام على كل فاحش أن يدخلها»[٤].

وقال ﷺ:

«أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ج١ ص١٢.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ج١ ص١٢.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا.

الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور: رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة فزعة خبيثة فيستلذها كما يستلذُّ الرَّفث..»[١].

وقال ﷺ:

«يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء»[٢].

وقال ﷺ:

«البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق»[٣].

والبيان في قوله ﷺ يحتمل أن يكون المراد به إما كشف ما لا يجوز كشفه، أو المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حدّ التكلّف، كما ويحتمل أن يكون المراد به البيان في أمور الدين في صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس.

وقال رسول الله محمد ﷺ:

«إن الفحش والتفحّش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم أخلاقاً»[٤].

هذه مذّمة الفحش، أما حدّه وحقيقته، فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارة الصريحة، ويجري أكثر ذلك بألفاظ الوقاع وما يتعلّق به. فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون التعرّض لها، بل تراهم إذا أرادوا التحدث عن الوقاع

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا.
(٢) الكافي: ج٢ ص٣٢٥ رقم ١٢.
(٣) الترمذي: ج٨ ص١٨٣.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا.

تناولوه بالرموز، كما كنى الله تعالى الوقاع باللّمس والدخول وما شابه ذلك وهذه الكنايات ليست بفاحشة.

والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم والذين من عادتهم السبّ.

قال أعرابي لرسول الله ﷺ: أوصني فقال:

«عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيّرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيّره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسبّن شيئاً من خلق الله»[1]، قال الأعرابي: فما سببت شيئاً بعده.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله الرجل من قومي يسبّني وهو دوني هل عليّ من بأس أن أنتصر منه؟ فقال ﷺ:

«المتسابان شيطانان يتعاونان ويتهاتران»[2].

وقال ﷺ:

«المتسابان ما قالا فعلى البادىء حتى يعتدي المظلوم»[3].

وقال ﷺ:

«سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»[4].

وقال ﷺ:

«ملعون من سبّ والديه»[5].

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني.
(٢) أخرجه الطيالسي: ص١٤٦ رقم ١٠٨٠.
(٣) أخرجه أحمد: ج٢ ص٥١٧.
(٤) أخرجه البخاري: ج٨ ص١٨.
(٥) أخرجه أحمد: ج١ ص٢١٧.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من أكبر الكبائر أن يسبّ الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وكيف يسبّ والديه؟ فقال: يسبّ الرجل فيسبّ أباه فيسبّ الآخر أباه»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«خرج رسول الله ﷺ لعرض الخيل فمرّ بقبر أبي أحيحة فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فوالله إن كان ليصد عن سبيل الله ويكذّب رسول الله، فقال خالد ابنه (ابن أبي أحيحة): بل لعن الله أبا قحافة فوالله ما كان يقري الضيف ولا يقابل العدو، فلعن الله أهونهما على العشيرة فقداً، فألقى رسول الله ﷺ خطام راحلته (زمامها) على غاربها ثم قال: إذا أنتم تناولتم المشركين فعمّوا ولا تخصّوا ثم وقف فعرضت عليه الخيل ـ ثم ساق الحديث إلى أن ذكر طائفة لعنهم رسول الله ﷺ وعدّ منهم ومن لعن أبويه ـ قال: فقال رجل: يا رسول الله أيوجد رجل يلعن أبويه، فقال: نعم يلعن آباء الرجال وأمهاتهم فيلعنون أبويه»[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ج١ ص٦٥.

(٢) الكافي: ج٨ ص٧٠.

٨ ـ اللّعن

اللّعن مذموم أيضاً حيث قال النبي محمدﷺ:

«المؤمن ليس بلعّان»[١].

وقالﷺ:

«لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنّم»[٢].

وقالﷺ:

«إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٣].

وروي أن رجلاً كان مع رسول اللهﷺ على بعير فلعن بعيره فقال النبيﷺ:

«يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون»[٤]. وقد قالﷺ ذلك إنكاراً عليه.

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله تعالى، وهو غير جائز إلا على من يتصف بصفة تبعّده عن الله تعالى، وهي الكفر والظلم، بأن

---

(١) أخرجه الترمذي: ج٨ ص١٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الترغيب والترهيب: ص٤٧٤.

يقول: لعنة الله على الظالمين أو الكافرين. وينبغي أن يتبع في لعنه لفظ الشرع لأن في اللعن خطراً عظيماً، لأن اللّعن قد حكم على الملعون بالبعد والطرد عن جوار الله، وهذا غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ورسوله ﷺ إذا أطلعه الله عليه.

والصفات المقتضية للّعن ثلاثة:

١ ـ الكفر.

٢ ـ البدعة.

٣ ـ الفسق.

واللعن في كل واحدة من هذه الصفات ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف الأعم، كقولك: لعنة الله على الكافرين والظالمين و..

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منها، كقولك: لعنة الله على اليهود والمجوس والقدرية والخوارج وعلى الزنادقة وآكل الربا. وهذا جائز ولكن لعن أصناف المبتدعة خطر، لأن معرفة البدعة غامضة ما لم يجيء فيه لفظ مأثور. لذا ينبغي أن يمنع عنه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً بين الناس وفساداً.

الثالثة: اللعن على شخص ما بعينه، كقولك: زيد لعنه الله كافر أو فاسق... وهذا فيه خطر لأنه ربما يسلم فيموت مقرّباً عند الله فكيف يحكم بكونه ملعوناً.

إلا من ثبت لعنه بالشرع، كلعن فرعون وأبي جهل، لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر.

وقد ثبت عن أهل البيت عليهم السلام جواز لعن المتآمرين على أمير المؤمنين عليه السلام ظلماً وعدواناً، والمتسمين بخلفاء رسول الله زوراً وبهتاناً

ومن والاهم على ذلك من أعوانهم وأنصارهم بأشخاصهم وأعيانهم، وما ثبت عن أهل البيت عليهم السلام فقد ثبت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله.

كما أنه قد تكرر ذكر اللعن في كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على وجه أفاد أنه من جملة العبادات المقرّبة إلى الله سبحانه، وأنه يجوز أن ينسب اللعن إلى شخص معيّن إذا عرف بكفره أو نفاقه أو فسقه. قال الله سبحانه:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[1].

وقال عز اسمه أيضاً:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[2].

وقد جعل الله تعالى اللعن وسيلة إلى إثبات دعوى النبوّة عند المباهلة لنصارى نجران حيث قال عز وجل:

﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[3].

فما كان من نصارى نجران إلا أن لجأوا إلى الصلح وبذل الجزية.

وقد روي أن أبي الحسن موسى عليه السلام قال:

«لعن الله أبا حنيفة كان يقول: قال عليٌّ وقلت ـ وفي رواية ـ وقالت الصحابة وقلت»[4].

وأما حديث «لا تكونوا لعّانين» فلعلّه نهي عن أن يكون السبّ خلقاً لهم بسبب المبالغة فيه والإفراط في ارتكابه بحيث يلعنون كل أحد، كما يدل عليه قوله «لعانين» لا أنه نهي عن لعن المستحقين وإلا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٤) الكافي: ج١ ص٥٧.

كان ينبغي أن يقول: «لا تكونوا لاعنين» فبينهما فرق يعلمه من أحاط بدقائق لسان العرب.

أما ما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن أهل الشام، فإن صح ذلك فلعلّه عليه السلام كان يرجو إسلامهم ورجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المشفق على الرعية. ولذلك قال: «ولكن قولوا اللهم أصلح ذات بيننا» وهذا قريب من قوله تعالى في قصة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[1] ولكن هذا لا ينبغي أن يوهمنا بأنه لا يجوز لعن أحد ممن عليه اسم الإسلام، فيقول: لا ألعن الكافر ولا ألعن إبليس وأن الله تعالى لا يقول لأحد يوم القيامة لم لم تلعن؟ وإنما يقول: لم لعنت؟!.

وهذا خلاف ما نصّ الكتاب الكريم عليه حيث قال عز اسمه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾[2].

وقال عز وجل:

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾[3].

وقال تعالى في إبليس:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[4].

وقال عز وجل:

﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾[5].

ومما يدل على أن من عليه اسم الإسلام يجوز لعنه إذا ارتكب الكبيرة قول الله تعالى في قصة اللعان حيث قال عز اسمه:

---

(١) سورة طه، الآية ٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة ص، الآية: ٧٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦١.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

وقال تعالى في القاذف:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

فهاتان الآيتان في المكلفين من أهل القبلة والآيات التي قبلهما في الكافرين والمنافقين.

ولا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق، لقول رسول الله ﷺ:

«لا يرمي رجلٌ رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[3].

وقال ﷺ أيضاً:

«ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه»[4].

والتعرّض للأموات أشد حيث قال ﷺ:

«لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا»[5].

ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشرّ فإن ذلك مذموم أيضاً.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٦ و٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٣) البخاري: ج٨ ص١٨.

(٤) روى نحوه مسلم: ج١ ص٥٧.

(٥) أخرجه البخاري والنسائي.

٩ ـ الغناء والشعر

١ ـ الغناء:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في قول الله تعالى:

«﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قال: الغناء»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال في تفسير قول الله تعالى:

«﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قال: الغناء»[٢].

وعنه عليه السلام قال:

«الغناء عشر النفاق»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«الغناء مما وعد الله عز وجل عليه النار، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»[٤].

---

(١) الكافي ج٦ ص٤٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن بيع جواري القينات، فقال:

«شراؤهنّ وبيعهنّ حرام، وتعليمهنّ كفر، واستماعهن نفاق»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

«المغنية ملعونة، ملعون من أكل من كسبها»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«أجر المغنية التي تزفُّ العرائس ليس به بأس ليست بالتي يدخل عليها الرِّجال»[3].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه سئل عن كسب المغنيات فقال:

«التي يدخل عليها الرِّجال حرام والتي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس وهو قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»[4].

روي أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت فقال:

«ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنة»[5]، أي بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء، أما الغناء فمحظور.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«رجّع بالقرآن صوتك فإن الله تعالى يحبّ الصوت الحسن

---

(١) التهذيب: ج٢ ص١٠٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٠٨.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٠٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ص٤٨٢ رقم ٩.

ترجّع به ترجيعاً»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم»[2].

إذاً يستفاد من مجموع هذه الروايات وغيرها أيضاً أن حرمة الغناء مختصة بدخول الرجال على المغنيات وتكلمهنّ بالأباطيل ولعبهنّ بالملاهي، أما إن كان وسيلة إلى ذكر الله والدار الآخرة كالترجيع بالقرآن مثلاً فهو مندوب وجائز.

٢ ـ الشعر:

الشعر يطلق على معنيين:

أحدهما: الكلام الموزون المقفّى سواء أكان حقاً أو باطلاً، وعلى حقّه يحمل حديث: «إن من الشعر لحكمة» وحديث: «إنّ لله كنوزاً تحت عرشه ومفاتيحه في ألسنة الشعراء». وكذا كل ما ورد في مدح الشعر ونفي البأس عنه، فإن المراد منه ما كان حقاً من الموزون المقفّى الذي ليس فيه تمويه ولا كذب.

الثاني: الكلام المشتمل على التخيّلات المؤذية والتمويهات المزخرفة التي لا أصل لها ولا حقيقة، سواء أكان لها وزن وقافية أم لا. وعليه يحمل ما ورد في ذمّ الشعر.

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٦.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦١٤.

«﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ قال: هل رأيت شاعراً يتبعه أحد إنما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلّوا وأضلّوا»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«هم قوم تعلّموا وتفقهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[2].

أما ما ورد في مدح الشعر بالمعنى الأول ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

«ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيّد بروح القدس»[4].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلا بنى الله له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرّب وكل نبي مرسل»[5].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أنه سأله رجل عن أوّل من قال الشعر، فقال: آدم، فقال: وما كان شعره؟ قال: لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها، وقتل هابيل فقال عليه السلام:

---

(١) تفسير البرهان: ج٣ ص١٩٤.

(٢) مجمع البيان.

(٣) الكافي: ص٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغيّر كل ذي لون وطعم وقلّ بشاشة الوجه المليح»[1]

عن خلف بن حماد قال: قلت للإمام الرضا عليه السلام:

«إن أصحابنا يروون عن آبائك عليهم السلام أن الشعر ليلة الجمعة ويوم الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت أن أرثي أبا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان. فقال عليه السلام: إرثِ أبا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل وفي سائر الأيام فإن الله عز وجل يكافيك على ذلك»[2].

وعن علي بن يقطين قال:

«سألت الإمام الكاظم عليه السلام عن إنشاد الشعر في الطواف، فقال: ما كان من الشعر لا بأس به فلا بأس به»[3].

وعن علي بن جعفر قال:

«سألت الإمام الكاظم عليه السلام عن الشعر أيصلح أن ينشد في المسجد؟ قال: لا بأس»[4].

وأما ما ورد في ذم الشعر فهو ما كان باطلاً منه، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا: فضّ الله فاك، إنما نصبت المساجد للقرآن». وهذا القول محمول على الشعر الباطل.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ص١٤٣.

(٢) كتاب الآداب الدينية.

(٣) التهذيب: ج١ ص٤٨٥.

(٤) التهذيب: ج١ ص٣٣٠.

وكذا ما رواه سماعة قال:

«سألته عن نشيد الشعر هل ينقض الوضوء أو ظلم الرجل صاحبه أو الكذب، فقال: نعم إلا أن يكون شعراً يصدّق فيه أو يكون يسيراً من الشعر، الأبيات الثلاثة والأربعة، فأما أن يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء»[1].

ولعل المراد هنا نقصان ثواب الوضوء به واستحباب إعادته لا وجوب ذلك. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار، فقال له إسماعيل: يا أبتاه وإن كان فينا، قال: وإن كان فينا»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«يكره رواية الشعر للصائم والمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة، وأن يروى بالليل، قال: قلت: وإن كان شعر حق؟ قال: وإن كان شعر حق»[3].

فالشعر في هذه الروايات محمول على الموزون المشتمل على التخيلات المزخرفة والكاذبة، لأن كون موضوعه حقاً كحكمة أو موعظة أو كونه فيهم عليهم السلام لا يخرجه عن المبالغات الشعرية الكاذبة، أما لو لم يكن مشتملاً على شيء منها فلا بأس بالوزن.

---

(١) الاستبصار: ج١ ص٨٧.

(٢) الكافي: ج٤ ص٨٨.

(٣) التهذيب: ج١ ص٤٠٧.

١٠ ـ المزاح

إن أصل المزاح مذموم ومنهي عنه إلا القدر اليسير فإنه مستثنى منه. قال رسول الله محمدﷺ:

«لا تمار أخاك ولا تمازحه»[١].

وينبغي معرفة أن المزاح المنهي عنه هو الإفراط فيه والمداومة عليه. لأن المداومة معناها اشتغال باللعب والهزل، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة. أما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك، وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار. أما المزاح الخالي من هذه الآفات فهو ليس مذموماً، كما روي عن رسول اللهﷺ أنه قال:

«إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»[٢].

ومثل الرسول الأكرمﷺ يقدر على أن يمزح وهو لا يقول إلا حقاً، أما غيره فإنه إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف ما كان، وقد قال رسول اللهﷺ:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا».

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) مجمع الزوائد: ج٨ ص٨٩.

وقد قيل: من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة، قال رسول الله ﷺ:

«لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً»[1].

هذه آفات الضحك، فالمذموم منه الاستغراق في الضحك والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السنّ ولا يسمع فيه الصوت، وكذلك كان رسول الله ﷺ يضحك.

قال بعضهم لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيّ فيجترىء عليك.

وقيل إن المزاح سمي مزاحاً؛ لأنه أزاح صاحبه عن الحق. وقد روي عن مزاح النبي ﷺ أنه أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها:

«لا تدخل الجنة عجوز، فبكت، فقال: إنك لست يومئذ عجوز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾»[2].

وروي أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت:

«إن زوجي يدعوك، فقال ﷺ: ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ فقالت: لا والله ما بعينه بياض، فقال: بل إن بعينه بياضاً، قالت: لا والله، فقال ﷺ: ما من أحد إلا بعينه بياض»[3] أراد به البياض المحيط بالحدقة.

---

(١) أخرجه أحمد: ج٢ ص٢٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الشمائل: ص١٦.

(٣) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح.

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت:

«يا رسول الله: احملني على بعير فقال ﷺ: بل نحملك على ابن بعير، فقالت: ما أصنع به إنه لا يحملني فقال رسول الله ﷺ: هل من بعير إلا وهو ابن بعير؟»[١] وكان بذلك يمزح.

(١) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩٦.

١١ ـ الاستهزاء وإفشاء السرّ

السخرية والاستهزاء محرم كلما كان مؤذياً فقد قال الله تعالى:

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[(١)].

ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه. وقد يكون ذلك بالفعل أو القول وقد يكون بالإشارة والإيماء. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[(٢)] قال: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك، وهو إشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم والذنوب.

وقال النبي ﷺ:

«إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم من باب الجنة فيقال: هلمّ هلمّ فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال: هلمّ هلمّ فيجيء بكربه وغمّه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال: هلمّ هلمّ فما يأتيه»[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٦١١.

وقال ﷺ:

«من عيّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله»[1].

وكل ذلك يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له، وعليه نبّه قوله تعالى:

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[2].

أي لم تسخر منه وتستصغره فلعله هو خير منك.

وإفشاء السرّ أيضاً منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، قال رسول الله ﷺ:

«إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة»[3].

وقال ﷺ:

«الحديث بينكم أمانة»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي: ج٩ ص٣١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٦.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا.

١٢ ـ الوعد الكاذب

إن اللسان سباق إلى الوعد وقد لا تسمح النفس بالوفاء فيصير الوعد خلفاً، وهذا من إمارات النفاق، فقد قال الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[١].

وقال النبي الأكرم محمدﷺ:

«الوأي مثل الدَّين أو أفضل»[٢] والوأي هو الوعد، وقد أثنى الله تعالى على نبيّه إسماعيل صلوات الله عليه فقال:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[٣].

حيث روي أنه عليه السلام واعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه فبقي.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد، ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل: ما زلت منتظراً لك»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٤) رواه الصدوق في العلل: باب ٦٧.

وقال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[1].

وقال رسول الله ﷺ أيضاً في رواية أخرى:

«أربع من كنّ فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خلّة منهنّ كانت فيه خلّة من خلال النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2].

وروي أن رسول الله ﷺ كان وعد أبا الهيثم بن تيهان خادماً فأُتِيَ بثلاث من السبي فأعطى اثنتين وبقي معه واحدة، فجاءت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تطلب منه خادماً وهي تقول: ألا ترى أثر الرَّحى يا رسول الله في يدي، فذكر لها موعده لأبي الهيثم وجعل يقول: كيف موعدي لأبي الهيثم. فآثره به على فاطمة لما سبق من وعده له مع أنها عليها السلام كانت تدير الرَّحى بيدها الضعيفة.

وروي أيضاً أن رسول الله ﷺ كان جالساً يقسم الغنائم فوقف عليه رجل من الناس فقال:

«إن لي عندك موعداً يا رسول الله، فقال: صدقت فاحتكم ما شئت فقال: احتكم ثمانين ضائنةً وراعيها، فقال رسول الله ﷺ: هي لك، ولقد احتكمت يسيراً، ولصاحبة موسى التي دلّته على عظام يوسف كانت أحزم وأجزل حكماً منك حين حكّمها موسى، فقالت: حكمي أن تردني شابة وأدخل

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص٥٦.

(٢) المصدر السابق.

معك الجنّة. قيل: فكان الناس يضعّفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً يقولون: أشحّ من صاحب الثمانين والراعي»[1].

وقال الرسول الأكرم محمدﷺ:

«ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيّته أن يفي».

وفي رواية أخرى قالﷺ:

«إذا وعد الرجل أخاه وفي نيّته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه»[2].

---

(١) الحاكم في المستدرك: ج٢ ص٥٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩٥.

١٣ ـ الكذب في القول واليمين

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، فقد قال النبي محمد ﷺ:

«كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له به كاذب»[١].

وقال ﷺ:

«لا يزال العبد يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً»[٢].

وقال ﷺ:

«الكذب ينقص الرزق»[٣].

وقال ﷺ:

«إنّ التجار هم الفجار، فقيل: يا رسول الله أليس الله قد أحلّ البيع؟ فقال: نعم ولكنّهم يحلفون فيأثمون ويحدّثون فيكذبون»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) أخرجه مسلم: ج٨ ص٢٩.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٩٦.

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى: ج٥ ص٢٦٦.

وقال ﷺ:

«ثلاث نفر لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[1].

وقال ﷺ:

«ما حلف حالف بالله فأدخل فيها جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة»[2].

وقال ﷺ:

«ثلاثة يحبّهم الله: رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه، ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهم موت أو ظعن، ورجل كان مع قوم في سفر أو سريّة فأطالوا السُرى حتى أعجبهم أن يمسّوا الأرض للراحة فنزلوا فتنحّى يصلّي حتى يوقظ أصحابه للرحيل، وثلاثة يشنأهم الله: التاجر أو البائع الحلاّف، والفقير المختال، والبخيل المنان»[3].

وقال ﷺ:

«ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»[4].

وقال ﷺ:

«... رأيت كأن رجلاً جاءني فقال: قم فقمت معه فإذا أنا

---

(١) السنن الكبرى: ج٦ ص٢٦٥.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم.

(٣) أخرجه أحمد: ج٥ ص١٥١.

(٤) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩٤.

برجلين أحدهما قائم والآخر جالس، بيد القائم كلّوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمدّه فإذا مدّه رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني: ما هذا؟ فقال: هذا رجل كذّاب يعذّب في قبره إلى يوم القيامة»[1].

عن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي محمداً ﷺ فقال:

«يا نبي الله هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ فقال: لا، ثم أتبعها رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[2].

وقال النبي محمد ﷺ في حديث آخر:

«ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذّاب، وعائل مستكبر»[3].

قال عبد الله بن عامر:

«جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبيّ صغير فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعالَ أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ فقالت: تمراً، فقال: أما أنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»[4].

---

(١) أخرجه البخاري: ج٩ ص٥٦.

(٢) الدر المنثور: ج٤ ص١٣١.

(٣) أخرجه مسلم: ج١ ص٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩٤.

وقال رسول الله ﷺ:

«لو أفاء الله تعالى عليّ نعماً عدد هذه الحصى لقسّمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذّاباً ولا جباناً»[١].

وقال ﷺ وكان متكئاً:

«ألا أخبركم بأكبر الكبائر؛ الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ثم قعد فقال: ألا وقول الزور»[٢].

وقال ﷺ:

«إن العبد ليكذب الكذب فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به»[٣].

وقال النبي ﷺ:

«تتبّلوا لي بسّت أتقبل لكم بالجنة فقالوا: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: إذا حدّث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، وغضوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»[٤].

وقال ﷺ:

«إنّ للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً؛ فأما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله فالنوم»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: ج٤ ص١١٥.

(٢) أخرجه مسلم: ج١ ص٦٤.

(٣) أخرجه الترمذي: ج٨ ص١٤٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك.

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب.

وقال ﷺ:

«من حدّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1].

وقال ﷺ:

«من حلف على يمين مؤثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق، لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان»[2].

وقال:

«على كلّ خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب»[3].

وقال نبي الله موسى عليه السلام:

«يا ربّ أي عبادك خير عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه».

وقال رسول الله ﷺ في مدح الصدق:

«أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك من الدنيا؛ صدق حديث وحفظ أمانة وحسن خليقة، وعفّةٌ في طعمة»[4].

وقال معاذ: قال لي رسول الله ﷺ:

«إني أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وبذل السلام وخفض الجناح»[5].

---

(١) أخرجه مسلم: ج١ ص٧.

(٢) أخرجه البخاري: ج٨ ص١٦٧.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٩٥.

(٤) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٨٩.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

الأمور التي رخّص فيها الكذب:

إن لكل كلام مقصداً يراد الوصول إليه، فإن كان المقصود أمراً محموداً وأمكن الوصول إليه عن طريق الصدق والكذب معاً، كان الكذب في هذه الحالة حراماً. أما لو أمكن الوصول إلى المقصود بالكذب دون الصدق وكان المقصود محموداً ومطلوباً فالكذب هنا مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً وواجب إن كان المقصود واجباً، كما لو كان منع سفك دم المسلم لا يحصل إلا بالكذب على الظالم، ووقف الحرب أو إصلاح ذات البين لا يتحقق إلا بالكذب، فالكذب هنا مباح ولكن ينبغي الاحتراز منه ما أمكن لأنه إذا فتح الإنسان باب الكذب على نفسه يخشى أن يتعدى فيه الحدّ الواجب ومقدار الضرورة منه، ولذلك كان الكذب في الأصل حراماً إلا لضرورة ما. والذي يدل على هذا الاستثناء ما روي عن أم كلثوم أنها قالت:

«ما سمعت رسول الله ﷺ يرخّص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدّث امرأة والمرأة تحدّث زوجها»[1].

وقال رسول الله محمد ﷺ:

«ليس بكذّاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً»[2].

وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم: ج٨ ص٢٨.

«كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما»[١].

وقال ﷺ:

«ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش على النار، كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدِّث امرأته يرضيها»[٢].

وعن رسول الله ﷺ أيضاً قال:

«اجتنبوا هذه القاذروات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله»[٣].

ذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى يرتكبها المرء، فللرجل أن يحفظ دمه وعرضه وماله الذي يؤخذ ظلماً وإن كان كاذباً. ولكن على الإنسان أن يكون عادلاً ويزن بميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله أن يكذب، وإن كان المحذور الذي يحصل من الكذب أشد فيجب الصدق، وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب مباح عند الضرورة أو لحاجة مهمّة فإذا شك في كون الحاجة مهمة أو لا فالأصل التحريم.

ولصعوبة الموازنة وغموض مراتب المقاصد ينبغي للإنسان أن يحترز من الكذب ما أمكنه، فيستحب له مهما كانت الحاجة أن يترك الكذب ويهجره، هذا إن كان الأمر متعلقاً به وراجعاً إليه، أما إذا تعلّق

---

(١) أخرجه أحمد: ج٦ ص٤٥٥.

(٢) أخرجه أبو بكر بن لال في المكارم.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث ابن عمر.

بغرض الغير فلا يجوز له أن يفرط بحقوق الغير والإضرار بها. وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم، ثم هو لأجل زيادة المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذوراً، فتحكي المرأة عن زوجها مثلاً ما تتفاخر به فتكذب لأجل مراغمة الضرات وهذا حرام فقد روي أن امرأة سألت رسول الله ﷺ فقالت:

«إن لي ضرّة وأنا أتكثّر من زوجي بما لم يفعل أضارّها بذلك، فهل عليّ فيه شيء؟ فقال: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[(١)].

ويدخل في هذا أيضاً فتوى العالم فيما لم يحقق فيه وغرضه في ذلك إظهار فضل نفسه فلا يستنكف عن قول: لا أدري، وهو حرام أيضاً.

فكل من أتى بكذبة فهو في خطر حتى يعلم المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أو لا؟ وهذا أمر غامض جداً فالأولى تركه إلا أن يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية.. وقد ظنّ ظانّون أنه يجوز وضع الأخبار في فضائل الأعمال وفي التشديد على المعاصي وزعموا أن القصد منه هو الخير وهذا خطأ إذ قال النبي محمد ﷺ:

«من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»[(٢)].

فما ورد في الآيات والأخبار فيه الكفاية فلا حاجة إلى اختلاق المزيد، فإن الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ يؤدي إلى أمور تشوّش الشريعة، فلا يقاس خير هذا الفعل بشره أصلاً، لذا كان الكذب على الله ورسوله من الكبائر التي لا يساويها شيء.

---

(١) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٥.

أما في المعاريض (أي التورية) فقد قيل إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب، وإن فيها ما يغني الرجل عن الكذب، ويقصدون بذلك حالة ما إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، أما إذا لم تكن هناك حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض.

ومثاله ما إذا بلغ الرجل عنه شيئاً فكره أن يكذب فقال: «إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء» فتكون «ما» حرف نفي عند المستمع وعنده للإبهام. وكأن يقول الرجل لابنته: «أرأيت لو اشتريت لك سكراً» فإنه لا يقول: اشتري لك سكراً، لأنه ربما لا يتفق له ذلك.

وكان أحدهم إذا طلب في البيت وهو يكره الخروج، يخط دائرة ويقول للجارية: ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا.

وهذا كله في موضع الحاجة فقط أما في غير موضع الحاجة فلا، لأنه تفهيمٌ للكذب وإن لم يكن اللفظ كذباً.

نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقول النبي ﷺ:

«لا تدخل الجنة عجوز... وفي عين زوجك بياض... ونحملك على ولد البعير...».

أما الكذب الصريح فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء القلب فهو حرام، وإن لم يكن إلا لمطائبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه، فقد قال الرسول الأكرم ﷺ:

«لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وحتى يجتنب الكذب في مزاحه».

أما قوله ﷺ:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا».

أراد به ما فيه غيبة المسلم أو إيذاء قلب.

ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقول الرجل: قلت لك كذا مائة مرّة، وطلبتك مائة مرّة، فإنه لا يراد بها تفهيم المرّات بعددها بل تفهيم المبالغة.

ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال للرجل: كل الطعام، فيقول: لا أشتهيه وهو في الحقيقة يشتهيه. وهذا منهي عنه وهو حرام.

روي عن أسماء بنت عميس أنها قالت:

«كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيّأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة، قالت: فاستحيت فقلت: لا تردي يد رسول الله خذي منه، قالت: فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال: ناولي صواحبك فقلن: لا نشتهيه، فقال ﷺ: لا تجمعنّ جوعاً وكذباً، فقلت: يا رسول الله إن قالت أحدٌ منا لشيء نشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ قال ﷺ: إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة»[١].

وربما يكذب الرجل في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال رسول الله ﷺ:

«إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول عليّ ما لم أقل»[٢].

وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) أخرجه البخاري: ج٩ ص٥٤.

«من كذب في حلمه كلّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: ج٩ ص٥٤.

١٤ ـ الغيبة

لقد ذم الله تعالى الغيبة في كتابه الكريم وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة حيث قال:

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ:

«كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٢] والغيبة تناول العرض وقد جمع ﷺ بينه وبين الدم والمال.

وعن النبي محمد ﷺ أيضاً أنه قال:

«إياكم والغيبة فإن الغيبة أشدّ من الزنى، فإن الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»[٣].

وقال ﷺ:

«لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) أخرجه مسلم: ج٨ ص١١.

(٣) مجمع الزوائد: ج٨ ص٩٢.

عباداً لله إخواناً»[1].

وقال ﷺ:

«مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم»[2].

سأل أحدهم رسول الله ﷺ: علمني خيراً ينفعني الله به، فقال ﷺ:

«لا تحقّرن من المعروف شيئاً ولو أن تصبّ من دلوك في إناء المستقي، وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإذا أدبر فلا تغتبه»[3].

وخطب رسول الله ﷺ يوماً فقال:

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[4].

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام:

«من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل النار، ومن مات مصراً عليها فهو أوّل من يدخل النار».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه:

«أمر الناس بصوم يوم وقال: لا يفطرنّ أحد حتى آذن له، فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا

(١) صحيح البخاري: ج٨ ص٢٥.
(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٨.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.
(٤) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٨.

رسول الله ظللت صائماً فأذن لي لأفطر فيأذن له، ثم الرجل والرجل حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلّتا صائمتين وأنهما تستحييان أن تأتياك فأذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال: إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس، اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا، فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى النبيﷺ فأخبره فقال: والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار»[1].

وفي رواية أخرى أنه:

«لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال النبيﷺ: ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعسّ أو قدح فقال لإحداهما: قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى: قيئي فقاءت كذلك فقال: إنّ هاتين صامتا عما أحلّ الله لهما وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»[2].

وخطب رسول اللهﷺ فذكر الزنى وعظّم شأنه فقال:

«إن الدرهم يصيبه الرجل من الرِّبا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وأربى الرّبا عرض الرجل المسلم»[3].

---

(١) الدر المنثور: ج٦ ص٩٦.

(٢) أخرجه أحمد: ج٥ ص٤٣١.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٣ ص٥٠٣.

وقال جابر:

«كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال: أما أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبيرة، أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان يستنزه من بوله، ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكلّ كسرة فغرست على قبر فقال النبي ﷺ: أمّا إنه سيهوّن من عذابها ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا»[1].

ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزاً في الزنى قال رجل لصاحبه:

«هذا أقعص الكلب، فمرّ النبي ﷺ معهما بجيفة فقال: انهشا منها، فقالا: يا رسول الله ننهش جيفة؟ فقال: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[2].

وسمع الإمام علي بن الحسين عليه السلام رجلاً يغتاب آخر فقال له:

«إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار»[3].

وروي أيضاً:

«إن عيسى ابن مريم عليه السلام مرّ ومعه الحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه».

وعن الرسول الأكرم ﷺ قال:

«من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنم، وكشف الله عورته على رؤوس

---

(١) الدر المنثور: ج٦ ص٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٤٥٩.

(٣) الوسائل: ج٢ ص٢٣٨.

الخلائق، ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلّ لما حرّم الله»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأُكلة في جوفه»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث، فقيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»[4].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال:

«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط عن أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[5].

وعنه عليه السلام قال:

«الغيبة حرام على كل مسلم وأنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[6].

---

(١) كتاب عقاب الأعمال.
(٢) الكافي: ج٢ ص٣٥٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الكافي: ج٢ ص٣٥٨.
(٦) مصباح الشريعة: الباب ٤٩.

معنى الغيبة وحدّها

إن حدّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء أكان ما ذكرته نقصاناً في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في دينه أو في دنياه، وحتى في ثوبه أو داره أو دابته.

أما في البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وغير ذلك من الأوصاف التي يكرهها المستغاب.

أما في النسب فكأن يقول: إن أباه نبطيّ أو هنديّ أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو جزار أو أي شيء آخر مما يكرهه.

أما الخلق فبأن يقول: إنه سيء الخلق، بخيل، متكبر، مرائي، شديد الغضب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهوّر وما شابه ذلك..

أما في أفعاله المتعلّقة بالدين كقوله: إنه سارق، أو كذّاب، شارب خمر، خائن، ظالم، متهاون بالصلاة والزكاة، لا يحسن الركوع والسجود، لا يحترز عن النجاسات، ليس باراً بوالديه، لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة، والتعرّض لأعراض الناس و..

أما فعله المتعلّق بالدنيا كقوله: إنه قليل الأدب متهاون بالناس لا يرى لأحد على نفسه حقاً ويرى الحق لنفسه فقط. أو أنه كثير الكلام وكثير الأكل، أو أنه نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه، وأما في ثوبه بأنه واسع الكم طويل الذّيل متّسخ الثياب كبير العمامة وما شابه ذلك.. فكل هذه الأمور داخلة في حدّ الغيبة، وإذا كان المستغيب صادقاً فيما يقول فهو مغتاب وعاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي عن النبيﷺ أنه قال:

«هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما

أقوله، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، فإن لم يكن فيه فقد بهتّه»[1].

وروي أيضاً عن عائشة:

«إنها ذكرت امرأة فقالت: إنها قصيرة فقال النبي ﷺ: اغتبتها»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«صفة الغيبة أن يذكر أحدٌ بما ليس هو عند الله عيب ويذمّ ما يحمده العلم فيه، وأما الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت أنت معافى عنه خالياً منه وتكون مبيّناً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله، ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله، وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«الغيبة أن تقول في أخيك ما ستر الله عليه وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا»[4].

وفي خبر آخر:

«هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل وتبثّ عليه أمراً

---

(١) أخرجه مسلم: ج٨ ص٢١.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٧.

(٣) مصباح الشريعة: الباب ٤٩.

(٤) الكافي: ج٢ ص٣٥٧.

قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ»[1].

والغيبة لا تقتصر على اللسان، بل إن الذكر باللسان، إنما حرّم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود منه فهو داخل في الغيبة، وهو حرام ولذلك عندما دخلت على عائشة امرأة ثم ولّت فأومأت بيدها عليها وقالت: إنها قصيرة، فقال لها رسول اللهﷺ «لقد اغتبتها». ومن ذلك الغيبة بالكتاب فإن القلم أحد اللسانين، فذكر شخص ما وتهجين كلامه في الكتاب يعد غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذلك كما سيأتي بيانه. وأما قول الرجل؛ قال قوم كذا (من غير تحديد من هم هؤلاء القوم) فليس ذلك بغيبة، لأن الغيبة إنما هي التعريض لشخص معين، إما حيّ أو ميّت.

ومن الغيبة أن تقول: بعض من مرّ بنا اليوم أو بعض من رأيناه، إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيناً لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، أما إذا لم يفهم عينه جاز. لذا كان رسول اللهﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال:

«ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا..»[2].

وأخبث أنواع الغيبة غيبة المرائين الذين يظهرون بصورة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون بجهلهم أنهم يجمعون بين فاحشتين الرياء والغيبة. وذلك كأن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذّل في طلب الحطام.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٥٠.

أو يقول: نعوذ بالله من قلّة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها، وإنما قصده كان أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء.

كذلك قد يقدم على مدح من يريد غيبته فيقول: ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصّر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلّة الصبر، فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين من خلال ذم نفسه فيكون مغتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة.

وقد يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادات من غير علم فيحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم.

ومن الغيبة أيضاً أن يذكر الرجل عيب إنسان ما فلا يتنبّه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يلتفت إلى الشخص المغتاب، فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة لتحقيق خبثه وهو يمن على الله جهلاً منه وغروراً.

ومنها أيضاً أن يقول: لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف، وهو كاذب في دعوى الاغتمام.

وكأن يقول أيضاً: ذلك المسكين قد ابتلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله تعالى مطّلع على خبث ضميره، وهو لجهله لا يعلم أنه قد تعرّض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال إذا جاهروا.

ومن ذلك أيضاً الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب، فيظهر التعجب ليزيد من نشاط المستغيب، فيقول على سبيل المثال: عجبٌ ما علمت أنه كذلك، ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه.

فإن كل ذلك تصديق للغيبة، والتصديق للغيبة غيبة، كما قال رسول الله ﷺ:

«المستمع أحد المغتابين»[1].

وروي أن حدهما قال لصاحبه:

«إن فلاناً لنؤوم ثم طلبا أُدماً من رسول الله ﷺ ليأكلا مع الخبز فقال رسول الله ﷺ: قد ائتدمتما، فقالا: لا نعلمه، فقال: بلى إنكما أكلتما من لحم صاحبكما»[2].

والمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه، وإن خاف فبقلبه. وإن قال بلسانه: اسكت ولكنه مشتهٍ لذلك بقلبه فهو نفاق، ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه.

قال رسول الله ﷺ:

«من أذلَّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره أذلّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[3].

وقال ﷺ:

«من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة»[4].

وقال ﷺ:

«من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»[5].

---

(١) مجمع الزوائد: ج٨ ص٩١.

(٢) الدر المنثور: ج٦ ص٩٥.

(٣) أخرجه أحمد: ج٣ ص٤٨٧.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(٥) رواه أحمد: ج٦ ص٤٦١.

الأسباب الباعثة على الغيبة:

إن الأمور الباعثة على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها مختصّة في حق العامة وثلاثة مختصّة بأهل الدين والخاصة. أما المختصة بالعامة فهي:

الأول: إشفاء الغيظ

فالرجل إذا جرى عليه سبب يغضبه، فإنه يشفي غيظه بذكر مساوئه، فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمة دين وازع يمنعه عن ذلك. وقد يمتنع عن تشفي الغيظ عند الغضب ولكن يؤدي ذلك عنده إلى احتقان الغضب في باطنه فيولّد حقداً، يكون سبباً دائماً لذكر المساوىء، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: الموافقة والمجاملة

إن موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام من العوامل الباعثة على الغيبة. فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض وهو لم يقم فينكر عليهم أو يقطع مجلسهم خوفاً من أن يستثقلوه وينفروا منه يكون بذلك قد أعانهم وساعدهم على غيبتهم. وقد يغضب رفقاؤه فيضطر إلى أن يغضب لغضبهم للمساهمة معهم في السراء والضراء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء، فيهلك معهم.

الثالث: الدفاع عن النفس

وذلك إذا استشعر من إنسان ما أنه سيقصده ويطوّل عليه لسانه أو سيقبح حاله أو سيشهد عليه بشهادة ما فيقوم فيبادره قبل أن يقبح هو حاله، فيطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبدأ بذكر ما هو فيه صادقاً ليكذّب ما سيروج عنه من الكذب وغيره. فيقول مثلاً: ما من عادتي الكذب لذا أخبرتكم بكذا وكذا..

الرابع: التبرؤ

كأن ينسب إليه شيء فيريد أن يتبرأ منه بذكر فاعله الفعلي وكان بإمكانه أن يبرّىء نفسه من دون أن يذكر فاعله، فيقع في غيبته.

الخامس: التصنّع والمباهاة

وذلك عندما يريد الإنسان أن يرفع نفسه من خلال تنقيص الآخرين، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه من ذلك أن يبيّن فضل نفسه فيريهم أنه أفضل من الشخص الذي يستغيبه.

السادس: الحسد

وذلك عندما يحسد من يثني عليه الناس ويحبونه ويكرمونه فيريد أن تزول تلك النعمة عنه ولا يجد سبيلاً لذلك إلا بالقدح فيه، فيعمل على إسقاط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن إكرامه والثناء عليه، لأنه يستثقل سماع ثناء الناس عليه وإكرامهم له. وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد الذي يستدعي جناية من المغضوب عليه، أما الحسد فقد يكون مع الصديق المحسن والقرين الموافق.

السابع: اللعب

قد يكون اللعب واللهو والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك سبباً لاستغابة الآخرين، فيذكر مثلاً غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب.

الثامن: السخرية والاستهزاء

إن السخرية والاستهزاء قد يجريان في الحضور كما أنهما يجريان أيضاً في الغيبة، ومنشؤهما التكبر واستصغار الآخرين.

أما الأسباب الثلاثة المختصة بالخاصة والتي هي أغمض وأدق من

أسباب العامة لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات فهي:

الأول: التعجب

فقد يحمله تعجبه ودفاعه عن الدين وخطأ الآخرين فيه إلى الوقوع في الغيبة فيقول مثلاً: ما أعجب ما رأيت من فلان وربما قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر في محلّه ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسم الواقع في المنكر، ولكن الشيطان سهل عليه ذكر اسمه فصار به مغتاباً من حيث لا يدري وآثماً أيضاً.

الثاني: دعوى الرحمة بالآخرين

فقد يغتم بسبب ما ابتلي به أحدهم فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به ويكون صادقاً في اغتمامه، ولكن غمّه هذا يلهيه عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره ويصير بذلك مغتاباً. وكان من الممكن أن يترحم عليه ويغتم لأجله من دون أن يذكر اسمه، ولكن الشيطان ساقه إلى ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه.

الثالث: دعوى الغضب لله

فقد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف فيستر اسمه ولا يذكره بالسوء.

وهذه الدرجات الثلاث مما يعسر دركها على العلماء فضلاً عن العوام. فهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله كان عذراً في ذكر الأسماء وهو خطأ، بل إن المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن أصل الغيبة متنوع بعشرة أنواع: شفاء غيظ ومساعدة

قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرّم وتزيّن، قال: فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الإثم ثواباً»(١).

علاج الغيبة:

إن مساوىء الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنما علاج كل علّة بمضادة سببها، وعلاج كفّ اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل.

أما على الجملة: فهو أن يعلم أنه بغيبته قد تعرّض لسخط الله، وأن الغيبة محبطة لحسناته وأنه يوم القيامة تنقل حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه، وإن لم تكن له حسنة نقل إليه من سيئاته، وهو مع ذلك متعرض لسخط الله ومشبّه عنده بآكل الميتة.

والعبد إنما يدخل النار عندما تترجح كفّة سيئاته، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان فيدخل بها النار. وإن من أقل الدرجات أن ينقص من ثواب أعمال الرجل وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب. قال رسول الله ﷺ:

«ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنة العبد».

لذا فإن العبد المؤمن مهما أمن بما وردت إليه من أخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك، بل يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وتذكر قول الرسول الأكرم ﷺ الذي يقول:

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»(٢).

---

(١) مصباح الشريعة: الباب ٤٩.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس.

وإذا ما وجد في نفسه عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذم الآخرين. بل ينبغي أن يعرف أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه، هذا إن كان ذلك العيب يتعلق بفعله واختياره، أما إن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق، فإن من ذم صنعة ما فقد ذمّ الصانع لها.

قال رجل لبعض الحكماء: يا قبيح الوجه، فأجابه الحكيم: ما كان خلق وجهي إليّ فأُحسنه.

وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله ولا يلوِّثنّ نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحوم الميتة من أعظم العيوب. بل لو أنصف الإنسان لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب. وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له، وإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه.

أما على التفصيل: فهو أن ينظر إلى السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة لا يكون إلا بقطع سببها. وقد قدمنا الأسباب:

١ - **الغضب**: فعلاجه أن يقول في نفسه إنني إن أمضيت غضبي عليه فلعل الله يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة، إذ نهاني عنها ربي فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال رسول الله ﷺ:

«إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله»[١].

وقال ﷺ:

«من اتقى ربّه كلّ لسانه ولم يشف غيظه»[٢].

---

(١) أخرجه النسائي من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التقوى.

وقال ﷺ:

«من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور شاء»[1].

وفي الحديث القدسي:

«يابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق».

٢ ـ **رضا المخلوقين**: علاجه أن يعلم أن الله يغضب عليه إذا طلب سخطه في رضا المخلوقين، فكيف يرضى لنفسه أن يوقّر غيره ويحقّر مولاه فيترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبه لله ولكن ذلك لا يوجب عليه ذكر المغضوب عليه بالسوء، بل ينبغي عليه أن يصبّ غضبه على كل من يذكروه بالسوء لأنهم عصوا ربهم بأفحش الذنوب وهي الغيبة.

٣ ـ **التبرير**: أن يتذرع الإنسان بأنني إن أكلت الحرام ففلان قد أكله، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنه يعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، فإن من خالف أمر الله لا يقتدى به.

٤ ـ **المباهاة**: إن علاج المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل الذي يؤدي إلى القدح بالغير هو أن يعلم أنه بما ذكره قد أبطل فضله عند الله، واعتقاده أنه صار له فضل عند الناس سيزول بمجرد أن يكتشفوا أنه كان يغتاب الآخرين، فيكون بذلك قد باع ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوق وهماً واعتباراً، ولو حصل له من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنه من الله شيئاً.

٥ ـ **الحسد**: إن مشكلة الحسد أنه يكون بها قد جمع بين عذابين.

---

(١) أخرجه ابن ماجة: رقم ٤١٨٦.

فإنه إن لم يكن الإنسان قانعاً بما آتاه الله وراضياً بما قسمه عليه فقام وحسد الآخرين على ما آتاهم الله من نعم الدنيا، يكون بذلك قد أضاف إلى عذابه من الدنيا عذاباً آخر في الآخرة. وإذا كان دافع الغيبة هو الحسد كما هو الحال هنا فإنه بهذه الحالة سيخسر حسناته لأنها ستنتقل إلى الشخص الذي اغتابه وبذلك لن تضرّ غيبته الآخرين بل ستضرّه هو، إذ ستنتقل إلى المستغاب حسناته أو تنتقل إليه سيئات من استغابه، وبذلك يكون قد جمع بين خبث الحسد والجهل والحماقة فربما يكون حسده وقدحه سبباً لانتشار فضل محسوده كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

٦ ـ **الاستهزاء**: إن علاج الاستهزاء هو أن يعلم الإنسان أن إخزاء الآخرين سيؤدي إلى إخزاء نفسه عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين. ولو فكر المستهزىء في حسرته وخجلته وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ بهم وكيف يساق إلى النار لامتنع عن إخزاء الآخرين. ولو تأمل في حاله لأدرك أنه كان من الأولى أن يضحك على نفسه ويسخر منها، لأنه عرّض نفسه للخزي والعار يوم يسوقه من استهزأ به على الملأ فرحاً بخزيه ومسروراً بنصر الله تعالى إياه وتسليطه على الانتقام منه.

٧ ـ **الترحم**: إن الترحم على الآخرين حسن ولكن الترحم على الآخرين لأجل استغابتهم شرّ وإثم عظيم والشيطان قد دفع المستغيب إلى ذكر اسم المترحم عليه لكي يخسّره حسناته ولتنتقل إلى من ادعى الرحمة عليه، فيصبح هو أحق بالترحم إذ أحبط أجره ونقصت حسناته.

٨ ـ **التعجب**: إن التعجب إذا أخرج صاحبه إلى الغيبة فينبغي أن يتعجب من نفسه أنه كيف أهلك دينه بدين غيره أو دنياه وهو مع ذلك لا يأمن من العقوبة في الدنيا بأن يهتك الله ستره كما هتك بتعجبه ستر أخيه.

إذن فالعلاج فقط يكمن من خلال المعرفة والإيمان، فمن قوي إيمانه انكفّ لسانه عن الغيبة لا محالة.

حرمة الغيبة بالقلب:

إن سوء الظن حرام كما هو سوء القول والكلام. فكما يحرم عليك أن تتحدث عن مساوىء الغير بلسانك كذلك ليس لك أن تحدّث نفسك بذلك ولا أن تسيء الظن بأخيك. والمقصود من إساءة الظن عقد القلب وحكمه على الغير بالسوء، أما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه، بل الشك أيضاً معفو عنه.

أما المنهي عنه فهو أن تظن، والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

والسبب في تحريم الظن هو أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علاّم الغيوب. فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يحتمل معه التأويل. أما ما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان قد ألقاه إليك، لذا ينبغي عليك أن تكذّبه لأنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾[2].

فلا يجوز لك إذاً أن تصدق خبر الفاسق وإن كان من المحتمل أن يصدق الفاسق في خبره، حتى أن من استنكه فوجد في فيه أحدهم رائحة الخمر لا يجوز أن يحدّ إذ من الممكن أن يكون قد تمضمض بالخمر أو مجّه وما شربه أو ربما حمل عليه قهراً. فكلٌّ هذه دلالات محتملة لا

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

يجوز تصديقها وإساءة الظن بالمسلم بسببها، فقد قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظنّ به ظنّ السوء»[1].

فلا يباح سوء الظن إلا بما يباح به المال وهو مشاهدته أو بيّنة عادلة. وإن لم يكن كذلك وخطر ببالك سوء الظن فادفعه عن نفسك وقل لنفسك إن حاله عندك مستور وما رأيته يحتمل فيه الخير والشر.

ومن علامات سوء الظن تغيّر حال القلب تجاه من أساء الظن به، فينفر قلبك منه نفوراً لم تعهده من قبل وتستثقله وتضعف مراعاتك له وإكرامه وتفقّد حاله. وقد قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث في المؤمن لا يستحسن وله منهنّ مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحقّقه»[2].

أما إذا أخبرك به عادل فمال ظنّك إلى تصديقه؛ كنت معذوراً لأنك لو كذّبته لكنت جانياً على هذا العادل لأنك ظننت به الكذب وهذا أيضاً من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر، نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وقعت، والشارع قد ردع عن شهادة العدوّ على عدوّه للتهمة لذا كان عليك في هذه الحالة أن تتوقف فلا تأخذ بما أخبرك به. وإن كان عادلاً فلا تصدّقه ولا تكذّبه بل تقول في نفسك: إن المذكور حاله كان في ستر الله عني وكان أمره محجوباً، وقد يكون ظاهر الرجل العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرّض للناس بذكر مساوئهم، وإذا كان ذلك من عادته ردّت شهادته، فالناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الناس.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب.

(٢) أخرجه الطبراني.

وإذا ما خطر لك خاطر سوء على مسلم فَيَنبغي أن تزيد من مراعاته والدعاء له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يعد يلقي إليك خواطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

وإذا عرفت هفوة لمسلم فانصحه في السرّ ولا يخدعنّك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه. وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لكي ينظر إليك بعين التعظيم وتنظر أنت إليه بعين الاستصغار ومرادك الاستعلاء والترفع عليه بالوعظ والإرشاد.

بل ليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين عليه كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك. وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بنصيحتك.

فإذا فعلت ذلك جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم على مصيبة الغير وأجر الإعانة على دينه.

ومن نتائج سوء الظن التجسّس، فإن القلب لا يكتفي ولا يقنع بسوء الظن بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسّس وهو أيضاً منهي عنه فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فالغيبة وسوء الظن والتجسّس منهيّ عنها في آية واحدة. ومعنى التجسس هو الاطلاع على أسرار عباد الله وهتك ستورهم حتى ينكشف لك ما كان مستوراً عنك.

الأعذار المرخَّصة في الغيبة:

إن الأعذار المرخصة في الغيبة ستة أمور:

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

الأول: التظلّم

إن للمظلوم أن يتظلم وأن ينسب الظلم إلى من ظلمه إذا لم يمكنه استيفاء حقّه إلا بهذه الطريقة وقد قال النبي الأكرمﷺ:

«لصاحب الحق مقال»[1].

وقالﷺ:

«ليُّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته»[2].

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر

إن الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصي إلى منهج الصلاح قد يكون سبباً أيضاً في جواز الغيبة، ولكن يشترط في هذه الإباحة القصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء

كأن يقول للمفتي: قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص؟ والأسلم أن يقول: ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته. والتعيين مباح بهذا المقدار لما روي عن هند قالت للنبيﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني إيايّ وولدي أفآخذ من غير علمه؟ فقالﷺ:

«خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[3].

فذكرت الشحّ والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول اللهﷺ إذ كان مقصودها الاستفتاء.

---

(١) أخرجه مسلم والبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود. الواجد: القادر على الأداء، ليّ الواجد: مطله.

(٣) أخرجه مسلم والبخاري: ج٧ ص٨٥.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر

إذا رأيت متفقهاً يتردد على أهل الشرّ أو رأيت مبتدعاً أو فاسقاً وخفت على المسلمين منه فلك أن تكشف بدعته وفسقه. وينبغي الاحتراس من الباعث فقد يدعي أن الباعث على فضحه هو الخوف على المسلمين من ضلالته والصحيح أن الحسد كان هو الباعث، فيلبس الشيطان عليه الأمر بحجة الشفقة على الخلق.

وقد كان رسول الله ﷺ يقول:

«أترعون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس، اذكروه بما فيه يحذره الناس»[١].

الخامس: اللقب

إذا كان إنسان معروفاً بلقب ما يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم فيه، كأن يقول: روى أبو الزّناد عن الأعرج، وسلمان عن الأعمش وما يجري مجراه.. فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، ولأنه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به.

نعم لو استطاع العدول عنه بحيث أمكنه التعريف عنه بعبارة أخرى كان الأولى فعل ذلك ولذلك يقال للأعمى: البصير عدولاً عن اسم النقص.

السادس: المجاهرة بالفسق

إذا كان أحدهم مجاهراً بالفسق، كالمخنّث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر و.. وكل من يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

من أن يذكر به فلا إثم في غيبته فقد قال رسول الله ﷺ:

«من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له»[1].

وذلك لأنه ربما كان يتفاخر به فكيف يكره ذلك وهو يقصد إظهاره. وقد قال إمامنا الصادق عليه السلام:

«الغيبة أن تقول في أخيك ما ستر الله عليه، وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه»[2].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال:

«من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»[3].

كفارة الغيبة:

على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله لكي يصدق عليه أنه خرج من الغيبة وبذلك يكون قد خرج عن حق الله، ثم عليه أن يستحلّ الذي اغتابه فيخرج عن مظلمته. وعليه أن يستحله وهو حزين ومتأسّف ونادم على ما فعله. إذ قد يستحل المرائي من اغتابه ليظهر من نفسه الورع وباطنه غير نادم فيكون بذلك قد قارف معصية أخرى. هذا إذا استطاع أن يصل إلى من اغتابه أما لو لم يتمكن من الوصول إليه فيكفيه الاستغفار حيث قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه وإن لم تبلغه فاستغفر الله له»[4].

---

(١) الدر المنثور: ج٦ ص٩٧.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٥٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مصباح الشريعة: الباب ٤٩.

وقال رسول الله ﷺ:

«من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته»[1].

والمراد بقوله ﷺ «فليستحللها» أي فليعفو عن المظلمة. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان إذا خرج من بيته قال: اللهم إني قد تصدّقت بعرضي على الناس»[2].

والمقصود بـ «تصدّقت بعرضي» أي أني لا أطلب مظلمة يوم القيامة ممن اغتابني ولا أخاصمه. فالعفو أفضل وقد ورد أنه:

«إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا؛ ليقم من كان له أجر على الله، فلا يقوم إلا من عفا عن مظلمته في الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل ما هذا العفو؟ فقال: إن الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ج٢ ص٥٠٦.

(٢) أخرجه ابن السني في العمل اليوم والليلة ص١٨.

(٣) المحجة البيضاء: كتاب رياضة النفس.

١٥ ـ النميمة

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾[(١)].

الهمّاز هو العياب، والعتلّ هو الجافي الغليظ، والزنيم هو المعلق بالقوم وليس منهم، وقيل إن الزنيم هو ولد الزنى الذي لا يكتم الحديث.

وقال تعالى في آية أخرى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾[(٢)].

قيل إن الهمزة هو النمام، واللمزة هو المغتاب. وقال عز وجل في آية أخرى في امرأتي نوح ولوط:

﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[(٣)].

حيث كانت امرأة لوط تخبر بالضِيفان وامرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون، وقد قال النبي الأكرمﷺ:

---

(١) سورة القلم، الآيات: ١٠ـ ١٣.

(٢) سورة الهمزة، الآية: ٢.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦٦.

«لا يدخل الجنّة نمام»[1].

وقال ﷺ في حديث آخر:

«أحبّكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً، الموطوؤن أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة بين الأحبّة، المفرّقون بين الأحزاب، الملتمسون للبرآء العثرات»[2].

وقال ﷺ:

«ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبّة، الباغون للبرآء العيب»[3].

وقال ﷺ:

«من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حقّ شانه الله في النار يوم القيامة»[4].

وقال ﷺ أيضاً:

«أيّما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله عز وجل أن يذيبه بها يوم القيامة في النار»[5].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«شراركم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبّة المبتغون

---

(١) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٧.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير.
(٣) مسند أحمد: ج٦ ص٥٥٩.
(٤) أخرجه البيهقي في الشعب.
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

للبرآء المعايب»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«الجنّة محرّمة على المغتابين والمشائين بالنميمة»[2].

حدّ النميمة وما يجب في ردّها:

إن حدّ النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو الإيماء، وسواء أكان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء أكان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أو لم يكن. بل حقيقة النميمة إفشاء السرّ وهتك الستر عما يكره كشفه.

بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما كان في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له. أما إن رآه يخفي مالاً لنفسه ثم قام وذكره فهو نميمة وإفشاء للسرّ، وإن كان ما ينم به نقصاناً وعيباً في المحكي عنه كان بذلك قد جمع بين الغيبة والنميمة.

والباعث على النميمة أمور: منها إرادة السوء بالمحكي عنه وإظهار الحب للمحكي له، أو الخوض في الفضول، وكل من حملت إليه النميمة وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا أو فعل فيك كذا وكذا أو يدبر في إفسَاد أمرك أو في ممالأة عدوّك أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه بستة أمور:

الأول: أن لا تصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة. قال

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٦٩.

(٢) المصدر السابق.

الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾[1].

الثاني: أن تنهاه عن ذلك وتنصحه بترك ما هو عليه أو تقبح له فعله فقد قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

الثالث: أن تبغضه في الله فإنه بغيض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى:

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3].

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لكي تتحقق وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه النمام فلا تحكي أنت نميمة بدورك فتقول: إن فلان قد حكى كذا وكذا فتكون أنت أيضاً نماماً ومغتاباً، فتكون قد أتيت بما نهيت عنه. وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل آخر فقال عليه السلام:

«يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، فإن شئت أن نقيلك أقلناك؟ قال: أقلني يا أمير المؤمنين»[4].

فالنمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغلّ والحسد والنفاق

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سور الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) رواه المفيد في الاختصاص.

والإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل وقد قال الله عز وجل:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

وقال عزّ اسمه:

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[2] والنمام منهم.

وقال الرسول ﷺ:

«إن من شرّ الناس من اتقاه الناس لشره»[3].

والنمام منهم كما قال النبي ﷺ في حديث آخر:

«لا يدخل الجنّة قاطع، قيل: وما القاطع؟ قال: هو قاطع بين الناس (وهو النمَّام)»[4].

وقال ﷺ:

«الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة»[5] أي ليس بولد حلال، والسعاية هي النميمة.

وقال لقمان الحكيم:

«يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بها لم تزل بها سيداً: إبسِط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٢.

(٣) رواه الكليني في الكافي: ج٢ ص٣٢٧.

(٤) أخرجه البخاري: ج٨ ص٦.

(٥) أخرجه الحاكم.

قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك».

وفي قصة يروونها أن رجلاً باع رجلاً آخر عبداً فقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة، فقال: قد رضيت فاشتراه. فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إنَّ زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرّى عليك وأنا أسحره لك في شعره، فقالت: كيف أقدر على أخذ شعره؟ فقال: إذا نام فخذي الموس واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم أتى الزوج وقال له: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم حتى جاءته المرأة بالموس فظن أنها تريد قتله فقام وقتلها، ثم جاء أهلها وقتلوه بعد ذلك، فوقع القتال بين قبيلتي الزوج والزوجة وطال الأمر بينهم.

١٦ ـ ذو اللسانين

ذو اللسانين هو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ويتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وهذا عين النفاق.

قال رسول الله ﷺ:

«من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»(١).

وقال ﷺ:

«تجدون من شر عباد الله يوم القيامة: ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث»(٢).

وفي حديث آخر:

«الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٣).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتهبان ناراً حتى يلهبان خدّه، ثم يقال: هذا

---

(١) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٦٧.

(٢) مسند أحمد.

(٣) المصدر السابق.

الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«بئس العبد عبداً يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«بئس العبد عبد همزة لمزة، يقبل بوجهه ويدبر بآخر»[3].

وقال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام:

«ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك وكفى بك خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمدٍ واحد، وكذلك الأذهان»[4].

ويصير الرجل ذا لسانين إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما ونقل كلام كلّ واحد منهما إلى الآخر وهو شرّ من النميمة، لأن النمام ينقل من أحد الجانبين أما ذو اللسانين فينقل عن كلا الجانبَينِ. وليس من الضروري أن ينقل كلاماً بل من الممكن أن يحسّن لكلّ واحد منهما ما هو عليه من المعاداة لصاحبه فيكون بذلك من ذوي اللسانين.

وكذلك إذا ما وعد كل واحد منهما أنه ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته، وكذلك إذا أثنى على أحدهما ثم بعد أن خرَج من عنده صار يذمه. هذه كلها من مصاديق ذي اللسانين.

---

(١) عقاب الأعمال: باب عقاب من كان ذا وجهين ولسانين.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

١٧ ـ المدح

إن المدح منهي عنه في بعض المواضع، وهو يدخله ستّ آفات أربعة في المادح واثنتان في الممدوح. في المادح:

الأولى: إنه قد يفرط في المدح فينتهي به الإفراط إلى الكذب.

الثانية: إنه قد يدخله الرياء، لأنه بالمدح مظهر للحبّ، وقد لا يكون معتقداً بجميع ما يقوله فيصير به مرائياً ومنافقاً.

الثالثة: إنه قد يقول ما لم يتحقق منه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه. روي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال ﷺ:

«ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح، ثمَّ قال: إن كان لا بدّ أحدكم مادحاً أخاه فليقل أحبّ فلاناً ولا أزكّي على الله أحداً حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك»[١].

وهذه الآفة تتطرّق إلى المدح بالأوصاف المطلقة كقوله: إنه متّق وورع وزاهد وخيّر وما يجري مجراه.

الرابعة: إنه قد يدخل بمدحه السرور على قلب الممدوح وهو شخص ظالم أو فاسق وهو غير جائز فقد قال النبي محمد ﷺ:

«إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: ج٨ ص٢٢٧.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة.

وأما الممدوح فيضره المدح من وجهين:

الأول: إنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان.

الثاني: إنه إذا أثنى عليه المادح بالخير فرح به وفتر عن العمل ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه ورضي بها قلّ تشمّره، وإنما يتشمّر للعمل من يرى نفسه مقصّراً فإذا انطلقت الألسنة بالثناء عليه ظنّ أنه قد أدرك، ولهذا قال النبيﷺ:

«قطعت عنق صاحبك ولو سمعها ما أفلح».

وقالﷺ أيضاً لمن مدح رجلاً:

«عقرت الرجل عقرك الله».

وقالﷺ:

«لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه».

وقيل إن المدح كالذبح، ذلك لأن المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح ولذلك شبّه به.

ولو سلم المدح من هذه الآفات المذكورة لم يكن به بأس بل ربما كان مندوباً ولذلك أثنى رسول اللهﷺ على بعض الصحابة. وعندما قال رسول اللهﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» لم يكن هذا تفاخراً كما قد يقصده الناس بالثناء على أنفسهم، ذلك لأن افتخاره كان بالله ولقربه منه عز وجل لا بولد آدم وتقدمه عليهم.

وعلى الممدوح أن يكون شديد الحذر من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور والرياء والتي لا منجى منها إلا بأن يعرف الإنسان نفسه جيداً ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال. وعليه أن يظهر كراهة للمدح وإليه الإشارة بقولهﷺ: «احثوا التراب في وجوه

المداحين»[1]. وقال علي عليه السلام لما أثني عليه:

«اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون»[2].

(١) أخرجه مسلم: ج٨ ص٢٧٨.
(٢) نهج البلاغة: المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم: ١٥٥.

١٨ ـ السؤال قبل الأوان

إن شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما جاء به القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل. فكل من يسأل عن علم غامض لم يبلغ فهمه بعد درجة إدراكه فهو مذموم ولذلك قال النبي محمدﷺ:

«ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه من استطعتم»[(١)].

وروي أنه سأل الناس رسول اللهﷺ يوماً حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال:

«سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة، فقام إليه شابان أخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: أبوكما الذي تدعيان إليه، ثم قام إليه رجل آخر فقال: يا رسول الله أنا في الجنة أو في النار؟ فقال: لا بل في النار، فلما رأى الناس غضب رسول اللهﷺ أمسكوا»[(٢)].

(١) أخرجه ابن ماجة: رقم ٢.

(٢) أخرجه البخاري: ج١ ص٢٤.

وفي الحديث نهى رسول الله ﷺ:

«عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[1].

وقال ﷺ:

«يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: قل هو الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»[2].

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه أيضاً على المنع عن السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال الخضر عليه السلام:

﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فلما سأل موسى عليه السلام عن السفينة أنكر الخضر عليه السلام عليه ذلك حتى اعتذر فقال موسى عليه السلام:

﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾[3].

فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال له الخضر عليه السلام:

﴿هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾.

فالسؤال عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب ذبّ عوام الناس عنها ومنعهم منها.

---

(١) أخرجه البخاري: ج٩ ص١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري: ج٩ ص١١٩.

(٣) سورة الكهف، الية: ٧٣.

١٩ ـ خطأ الكلام في أمور الدين

إن الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام فيما يتعلق بالله وصفاته وما يرتبط بأمور الدين يعد أيضاً من آفات اللسان المهلكة. والتي يمكن أن يعفو عنها الله إن كانت عن جهالة. قال النبي الأكرم ﷺ:

«لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت»[١].

لأنه في العطف بالواو شرك بالله والعياذ بالله. وروي أيضاً أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ يكلّمه في بعض الأمور فقال: ما شاء الله وشئت فقال ﷺ:

«أجعلتني لله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده»[٢].

وعن النبي ﷺ أيضاً قال:

«إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٣].

وعنه ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٥٩١.

(٢) أخرجه أبو السنى في اليوم والليلة: ص١٨١.

(٣) أخرجه البخاري: ج٨ ص١٦٤.

«لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم»[1].

وعنه ﷺ قال:

«لا يقولنّ أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، ولا يقول المملوك: ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي، كلكم عبيد الله والرب واحد»[2].

وعنه ﷺ قال:

«لا تقولنّ للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم»[3].

وقال ﷺ:

«من قال: أنا بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً»[4].

وهكذا من تأمل في جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق العنان للسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله ﷺ:

«من صمت نجا»[5].

لأن هذه الآفات كلها مهالك، فإن سكت المتكلم سلم من الكلّ وإن تكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم عزيز وورع جاهز ومراقبة لازمة فعساه عند ذلك يسلم وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر. فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم.

---

(١) أخرجه مسلم: ج٧ ص٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه أبو السنى، في اليوم والليلة: ص١٠٥.

(٤) أخرجه ابن ماجة: رقم ٢١٠٠.

(٥) أخرجه الترمذي.

آداب القرآن

مقدمة

الحمد لله الذي امتنّ على عباده بنبيّه المرسل وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتّسع على أهل الافتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام وفرّق فيه بين الحلال والحرام.

فالقرآن الكريم هو كتاب الضياء والنور وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء الصدور. فمن خالفه قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوقى. وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه.

وهو الذي أرشد الأولين والآخرين، والذي لما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1].

فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال الله تعالى:

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢، ٣.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

ومن الأمور التي تساعد على حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على آدابه الباطنية والظاهرية وهذا ما سنحاول بيانه في هذا الفصل من الكتاب.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

فضيلة القرآن

قال النبي محمد ﷺ:

«من قرأ القرآن ثم رأى أنّ أحداً أوتي أفضل مما أُوتي فقد استصغر ما عظّمه الله»[1].

وقال ﷺ في حديث آخر:

«ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن، لا نبي ولا ملك ولا غيره»[2].

وقال ﷺ:

«لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار»[3].

وقال ﷺ:

«أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن»[4].

وقال ﷺ:

«إن الله قرأ «طه» و «يس» قبل أن يخلق الخلائق بألف

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) رواه عبد الملك بن حبيب في رواية سعيد بن سليم.

(٣) رواه الشريف المرتضى في الأمالي: ج١ ص٤٢٦.

(٤) أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن.

عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمّة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف يحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا»[1].

وقال ﷺ:

«خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[2].

وقال ﷺ: يقول الله تعالى:

«من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين»[3].

وقال ﷺ:

«ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس، منهم رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأمّ به قوماً هم به راضون»[4].

وقال ﷺ:

«أهل القرآن أهل الله وخاصته»[5].

وقال ﷺ:

«إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت»[6].

---

(١) أخرجه الدارمي: ج٢ ص٤٥٦.
(٢) أخرجه البخاري: ج٦ ص٢٣٦.
(٣) الترمذي: ج١١ ص٤٦.
(٤) أخرجه الطبراني.
(٥) الحاكم في المستدرك: ج١ ص٥٥٦.
(٦) مشكاة المصابيح: ص١٨٩.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً عليّاً»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال أيضاً:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك، وأسلت دمعتك، وأؤول معك حيث ما أُلت، وكل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء تجارة كل تاجر، وسيأتيك كرامة الله تعالى فأبشر، قال: فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلّتين ثم يقال له: اقرأ وارق، فكلما قرأ آية صعد درجة ويكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن»[2].

وبإسناده عنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود فأعدوا الجهاز لبعد المجاز، قال: فقام مقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ رقم ١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ رقم ٣.

فقال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع ومَاحِلٌ مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص»[1].

وقال رسول الله ﷺ:

«أنا أوّل وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: إن أحق الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإن أحق الناس في السرّ والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزيّنك الله به، ولا تزيّن به

(١) الكافي: ج٢ ص٥٩٨ رقم ٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٠ رقم ٤.

للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه، ولكنه لا يوحى إليه، ومن جمع القرآن فنوله (حقّه أن) لا يجهل مع من يجهل عليه، ولا يغضب فيمن يغضب عليه، ولا يحدّ فيمن يحدّ ولكنه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن، ومن أوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من الناس أوتي أفضل مما أوتي فقد عظّم ما حقّر الله، وحقّر ما عظم الله»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من برّ، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا أصغرها مثل جبل أحد وأكبرها ما بين السماء والأرض»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطيت السور الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود عليه السلام»[3].

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٤ رقم ٥.
(٢) الكافي: ج٢ ص٦١٢ رقم ٥.
(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠١ رقم ١٠.

وفي نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم نوره، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وبنياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي[1] الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون[2]، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله تعالى ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً ممرعاً[3] لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ[4] لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولاّه وسلماً لمن دخله وهدًى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به وشاهد لمن خاصم به وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجنّة لمن استلأم[5] وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن

---

(١) غدران: جمع غدير. الأثافي: جمع أثفية: الحجر يوضع عليه القدر.

(٢) الغوط والغاط والغوطة: المطمئن من الأرض والجمع غياط وغيطان، نضب: نزح، الماتح: المستقي من البئر بالدلو من أعلى البئر. لا يغيضها: لا ينقصها. الأكام: جمع أكمة وهي التل.

(٣) أمرع المكان: أخصب.

(٤) المحاج: جمع محجة.

(٥) استلأم: لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب.

قضى»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: اعلموا أن القرآن هدى النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة»[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال:

«آيات القرآن خزائن العلم فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي؛ وكان عليه السلام إذا قرأ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يكررها حتى كاد أن يموت»[4].

وسئل علي بن الحسين عليه السلام:

«أي الأعمال أفضل؟ قال: الحالُّ المرتحل، قلت: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه، كلما جاء بأوّله ارتحل في آخره»[5].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة، فيمرّ

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٩٦.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٠ رقم ٦.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠٩.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦٠٢.

(٥) الكافي: ج٢ ص٦٠٥.

بالمسلمين فيقولون: هذا رجل منا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا، حتى ينتهي إلى ربّ العزّة عز وجل فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وارقه، قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني، قال: فيقول: العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آية صعد درجة»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»[3].

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٢.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠٣.

وعنه عليه السلام قال:

«إن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن أو أن يكون في تعلّمه»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«إن الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلّة تحفّظ له أجران»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من نسِيَ سورة من القرآن مثّلَت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: من أنت ما أحسنك ليتك لي؟ فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا ولو لم تنسني لرفعتك إلى هذا»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«من قرأ القرآن فهو الغنى ولا فقر بعده وإلا ما به غنى»[5].

وبإسناده عن حفص بن غياث قال:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٥٩٩.
(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٧.
(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠٦.
(٤) الكافي: ج٢ ص٦٠٧.
(٥) الكافي: ج٢ ص٦٠٥.

«سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل: أتحب البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم، فقال: ولم؟ قال: لقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ فسكت عنه ثم قال لي بعد ساعة: يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال له: اقرأ وارق، فيقرأ ثم يرقى، ثم قال حفص: ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ولا أرجى الناس منه، وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ فكأنما يخاطب إنساناً»[1].

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٦.

ذم تلاوة الغافلين

عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم»[1].

وعنهعليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ قال:

«قال أمير المؤمنينعليه السلام: تبيّنه تبياناً ولا تهذّه[2] هذَّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[3].

وعن أبي جعفرعليه السلام قال:

«قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٤.

(٢) هذّه هذاً: قطعه سريعاً أو قطعه مطلقاً، وهذَّ الحديث: سرده.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦١٤. والآية: سورة المزمل: ٤.

القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلايا، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن من الناس من يقرأ القرآن ليقال: فلان قارىء ومنهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولا خير في ذلك، ومنهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته وليله ونهاره»[2].

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أكثر منافقي هذه الأمّة قرّاؤها»[3].

وقال صلى الله عليه وآله:

«اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرأه»[4].

وقال صلى الله عليه وآله:

«ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه»[5].

وفي التوراة أنه مكتوب:

«يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٢٧.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٩.

(٣) مسند أحمد: ج٤ ص١٥١.

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(٥) صحيح الترمذي: ج١١ ص٤٠.

وتقرأه وتتدبّره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء، وهذا كتابي أنزلته إليك أُنظر كم وصلت لك فيه من القول؟ وكم كرّرت عليك لتتأمّل طوله وعرضه؟ ثم أنت معرض عنه، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي، يقبل إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلّم فتكلّم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدّث لك وأنت معرض بقلبك عني، فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك».

الآداب الظاهرية لتلاوة القرآن

إن آداب القرآن الظاهرية تسعة وهي:

الأول: الوضوء

الثاني: استقبال القبلة على هيئة الأدب والسكون

فمن آداب القرآن الوقوف على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبلاً القبلة مطرقاً رأسه غير جالس على هيئة التكبّر بحيث يكون جلوسه كجلوسه بين يدي أستاذه. وأفضل الأحوال أن يقرأه في الصلاة قائماً وفي بيته لأنه أبعد عن الرياء.

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم، فإن البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتّسع أهله، وأضاء لأهله السماء كما يضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٠ رقم ١.

«إن البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدريّ في السماء»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين»[2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن فإن البيت إذا قرىء فيه القرآن يسّر على أهله وكثر خيره وكان سكانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيّق على أهله وقلّ خيره وكان سكّانه في نقصان»[3].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكلّ حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب».

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٠ رقم ٢.
(٢) المصدر السابق: رقم ٣.
(٣) المصدر السابق: ص٦١١.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ في صلاته جالساً كتب له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كتب له بكل حرف عشر حسنات»[1].

وعن الحسين بن علي عليه السلام قال:

«من قرأ آية من كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة فإن قرأها في غير صلاة كتب له بكلّ حرف عشر حسنات، فإن استمع القرآن كتب له بكل حرف حسنة فإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتى يمسي وكانت له دعوة مجابة، وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض، قلت: هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأ؟ قال: يا أخا بني أسد إن الله جوادٌ ماجدٌ كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال:

«قال أبي عبد الله عليه السلام: من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له به حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكل حرف حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، قال: لا أقول بكل آية ولكن بكل

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١١.

(٢) المصدر السابق.

حرف باء أو تاء أو شبههما، قال: ومن قرأ حرفاً ظاهراً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له (بكل حرف) مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، ورفع له مائة درجة، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة، قال: قلت: جعلت فداك ختمه كله؟ قال: ختمه كله»[1].

الثالث: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والدعاء أثناء القراءة

والاستعاذة تكون بقول القارىء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[2]. وهو تطهير للسان لما جرى عليه من ذكر غير الله لكي يستعد لذكر الله، وتطهير للقلب من تلوّث الوسوسة لكي يَنزل فيه سلطان المعرفة، وينبغي استشعار هذه الحقيقة حال الاستعاذة.

أما الدعاء فقد روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال:

«إذا أخذت المصحف للقراءة فقل: اللهم إني أشهدك أن هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمد بن عبد الله وكلامك الناطق على لسان نبيّك جعلته هادياً منك إلى خلقك، وحبلاً متصلاً فيما بينك وبين عبادك. اللهم إني نشرت عهدك وكتابك، اللهم فاجعل نظري فيه عبادة وقراءتي فيه ذكراً وفكري فيه اعتباراً، واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه واجتنب معاصيك، ولا تطبع عند قراءتي على قلبي ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوة

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٢ رقم ٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه آخذاً بشرائع دينك، ولا تجعل نظري فيه غفلة ولا قراءتي هذراً إنك أنت الرؤوف الرحيم»[1].

وقد روي أنه للفراغ من قراءة القرآن يقول:

«اللهم إني قد قرأت ما قضيت من كتابك الذي أنزلته على نبيك الصادق صلى الله عليه وآله فلك الحمد ربّنا، اللهم اجعلني ممن يحلّ حلاله، ويحرّم حرامه، ويؤمن بمحكمه ومتشابهه واجعله أُنساً في قبري وأُنساً في حشري واجعلني ممن ترقيه بكل آية درجة في أعلى عليين آمين رب العالمين»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال

«... إذا مرّ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قال: لبيك ربّنا، وإذا ختم سورة الشمس قال: صدق الله وصدق رسوله، وإذا قرأ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: الله خير الله أكبر، وإذا قرأ ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ قال: كذب العادلون بالله، وإذا قرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كبّر ثلاثاً، وإذا فرغ من الإخلاص قال: كذلك الله ربي».

وروي أيضاً أنه يقال عند قوله تعالى:

«﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ الله ربنا، وعند قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ سبحانك بلى، وعند قوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ بل أنت الله الخالق، وعند

---

(١) رواه المفيد في الاختصاص: ص١٤١.

(٢) المصدر السابق.

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ بل أنت الله الزارع، وعند ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ بل أنت الله المنشىء، وعند قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ لا بشيء من آلائك ربّ أكذب، إلى غير ذلك...»[1].

ولختم القرآن دعوات مشهورة أحسنها وأتمها ما في الصحيفة السجادية.

وروي أن الرسول الأكرم ﷺ كان يقول عند ختمه للقرآن:

«اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكّرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار، واجعله حجّة لي يا ربّ العالمين»[2].

الرابع: الترتيل وتحسين القراءة

الترتيل مستحب في هيئة القراءة لأن المقصود من القراءة التفكر؛ والترتيل يعين عليه. فقد قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[3] والترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفسّر الأول بالوقف التام والحسن، والثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر والهمس والإطباق والاستعلاء وغيرها...

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال في معنى الترتيل:

«بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن افزع به القلوب القاسية، ولا يكون همّ أحدكم آخر

(١) التهذيب: ج١ ص١٧١ و٢٢١ و٢٤٧.
(٢) مجمع الزوائد: ج٢ ص٢٧٢.
(٣) سورة المزمّل، الآية: ٤.

السورة»[1].

وقيل أيضاً في معنى الترتيل أيضاً: أي أن يقرأ متفكراً على مهل بحيث لو أراد السامع عدّ حروف الكلمات لعدّها، كما روي في قراءة رسول الله ﷺ[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«هو أن تمكث وتحسن به صوتك»[3].

وتحسين الصوت إنما يكون بترديده من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم. قال رسول الله ﷺ:

«زيّنوا القرآن بأصواتكم»[4].

وقال ﷺ:

«ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن»[5].

وقال ﷺ أيضاً:

«ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»[6].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«قال النبي ﷺ: لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»[7].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٤. والهذ: سرعة القراءة.
(٢) سنن الترمذي: ج١١ ص٤٣.
(٣) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٧٨.
(٤) أخرجه الدارمي: ج٢ ص٤٧٤.
(٥) المصدر السابق: ص٤٧١.
(٦) المصدر السابق: ص٤٧٢.
(٧) الكافي: ج٢ ص٦١٤.

وعنه عليه السلام قال:

«قال النبي صلى الله عليه وآله: من أجمل الجمال الشعر الحسن ونغم النغمة الصوت الحسن»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقّاؤون يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً»[3].

وعن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت الحسن عنده فقال:

«إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما مرّ به المار يصعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون»[4].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان يقول: إنما ترائي بهذا أهلك والناس، فقال عليه السلام:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

يا أبا محمد اقرأ قراءة بين القراءتين تسمع أهلك ورجّع بالقرآن صوتك فإن الله تعالى يحب الصوت الحسن، ترجّع به ترجيعاً»[1].

وعن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام:

«إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتى يرى أن حدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا، إنما هو اللّين والرقة والدمعة والوجل»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنه سيجيء بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا تجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم»[3].

وسأل رجل علي بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت فقال:

«ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنة»[4] يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٤: باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكافي: ج٢ ص٤٨٢ رقم ٩.

الخامس: الجهر بالقراءة

لا شك في أنه لا بد وأن يجهر القارىء إلى الحد الذي يسمع نفسه، إما أن يسمع غيره فهو محبوب من جهة ومكروه من جهة أخرى.

ويدل على استحباب الإسرار ما روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسرّ به كالمسرّ بالصدقة»[١].

وفي الخبر:

«يفضّل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً»[٢].

وفي الخبر أيضاً:

«خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي»[٣].

ويدل على استحباب الجهر قول النبي ﷺ:

«إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلّون بصلاته»[٤].

أما الوجه في الجمع بين الطائفتين من الروايات أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنّع وهو أفضل في حقّ من يخاف ذلك على نفسه، وإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش عليه الوقت فهو أفضل لأن العمل فيه أكثر ولتعلق الفائدة منه بالغير، فالخير المتعدي أفضل من اللازم. ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همّه للتفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم برفع الصوت، ولأنه يزيد من نشاط القارىء

---

(١) أخرجه أبو داود: ج١ ص٣٠٦.

(٢) وسائل الشيعة: باب استحباب العبادة في السرّ.

(٣) أخرجه أحمد والبيهقي.

(٤) مجمع الزوائد: ج٢ ص٢٦٥.

ويقلّل من كسله، ولأنه يرجو بجهره إيقاظ غافلٍ ما فيكون هو سبب في إحيائه.

فإذا حضر القارئ شيء من هذه النيات فالجهر له أفضل، وإذا اجتمعت هذه النيات تضاعف أجره، وبكثرة النيات يزكو عمل الأبرار وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيّات كان فيه عشرة أجور ولهذا فإن قراءة القرآن في المصحف أفضل لأنه يزيد من عمل البصر والنظر في المصحف عبادة كما روي عن الرسول الأكرمﷺ أنه قال:

«أعطوا أعينكم حظّها من العبادة، قالوا: وما حظّها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه»[1].

وعن النبيﷺ أنه قال:

«أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن نظراً»[2].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«من قرأ القرآن في المصحف متّع بصره وخفّف عن والديه وإن كانا كافرين»[3].

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام:

«جعلت فداك إني أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال: بل أقرأ وأنظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أن النظر

(١) أخرجه البيهقي في الشعب.

(٢) كتاب آداب المتعلمين: ص١٥١.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦١٣ رقم ١.

في المصحف عبادة»[1].

السادس: البكاء

البكاء مستحب مع القراءة فقد قال رسول الله ﷺ:

«اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»[2].

وطريق تكلّف البكاء أن يشعر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء.
قال النبي ﷺ:

«إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«إن الله أوحى إلى موسى بن عمران إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين»[5].

ووجه استشعار الحزن بأن يتأمل القارىء ما في القرآن من التهديد والوعيد والوثائق والعهود، ثم يتأمل في تقصيره فيحزن ويبكي، وإن لم يحضره الحزن ولا البكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك من أعظم المصائب.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٣: رقم ٣.

(٢) أخرجه ابن ماجة: رقم ٤١٩٦.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦١٤ رقم ٢.

(٥) الكافي: ج٢ ص٦١٥ رقم ٦.

السابع: المواظبة على القراءة

عن محمد بن عبد الله قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أقرأ القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر»[1].

وعن علي بن أبي حمزة قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا، قال: ففي ليلتين؟ قال: لا، قال: ففي ثلاث؟ قال: ها ـ وأشار بيده ـ ثم قال: يا أبا محمد إن لرمضان حقّاً وحرمة ولا يشبهه شيء من الشهور، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقلّ، إن القرآن لا يقرأ هذرمة (بسرعة) ولكن ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله تعالى الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله رجل: في كم أقرأ القرآن؟ فقال عليه السلام:

«اقرأه أخماساً، اقرأه أسباعاً، أما إنّ عندي مصحفاً مجزّى أربعة عشر جزءاً»[3].

إذاً ينبغي لمن كان من العابدين السالكين طريق العمل أن يأخذ بالأسبوع كما في الحديث، ولمن كان من السالكين بأعمال القلب

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم أن يأخذ بالشهر كما في الحديثين الأولين، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي بأقل من ذلك لحاجته إلى كثرة الترديد والتأمّل فيأخذ بما ورد أنه ينبغي أن يُقرأ منه في كل يوم خمسون آية وهو أقلّ ما يقرأ.

فعن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال:

«القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١].

الثامن: مراعاة حق الآيات

على القارىء أيضاً أن يراعي حق الآيات فإذا مرّ بآية سجود سجد وكذلك إذا سمع من غيره. ففي القرآن خمس عشرة سجدة أربع منها واجبة تسمى بالعزائم والبواقي مستحبة وفي الحج سجدتان، وأقلّه أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يراعي شرائط سجود الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب وغيرها..

ووقت السجود عند التلفظ بمجموع الآية وهو فوري لا يسقط بالتأخير، فعن الإمام الصادقعليه السلام

«إنه سئل عن الرجل يقرأ السجدة فينساها حتى يركع ويسجد؟ قال: يسجد إذا ذكر إذا كانت من العزائم»[٢].

وعنهعليه السلام أيضاً قال:

«إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده: «سجدت لك تعبداً ورقاً، لا مستكبراً عن عبادتك ولا مستنكفاً ولا متعظماً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير»[٣].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٩.

(٢) التهذيب: ج١ ص٢١٩.

(٣) الكافي: ج٣ ص٣٢٨ رقم ٢٣.

التاسع: الإنصات

إن استماع القرآن عند قراءة الغير يكاد يكون واجباً لورود الأمر به في الكتاب والسنة. قال الله عز وجل:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وعن معاوية بن وهب قال:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يؤمّ القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة؟ فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له، فقلت: فإنه يشهد عليّ بالشرك، قال: إن عصى الله فأطع الله، فرددت عليه، فأبى أن يرخص لي، قال: قلت له: أصلي إذن في بيتي ثم أخرج إليه؟ فقال: أنت وذاك، وقال: إن علياً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته، ثم أعاد ابن الكوّا الآية فأنصت علي عليه السلام أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكوّا فأنصت علي عليه السلام، ثم قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم أتمّ السورة ثم ركع»[2].

وعن ابن بكير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«سألته عن الناصب يؤمّنا ما تقول في الصلاة معه؟ فقال: أمّا إذا جهر فأنصت للقرآن واستمع ثم اركع واسجد أنت لنفسك»[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) الكافي: ج٢ ص٢٥٥.

(٣) التهذيب: ج١ ص٢٥٥.

الآداب الباطنية لتلاوة القرآن

آداب القرآن الباطنية عشرة وهي:

الأول: معرفة عظمة كلام القرآن

إن فهم عظمة كلام القرآن وعلوّه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في إنزاله القرآن من عرش جلاله إلى درجة أفهام الخلق من الآداب الباطنية المهمة لتلاوة القرآن الكريم. وعلى القارىء أن ينظر كيف لطف الله تبارك وتعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه ـ الذي هو صفة قائمة بذاته ـ إلى أفهام خلقه، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طيّ حروف وأصوات هي من صفات البشر، إذ أن البشر يعجزون عن الوصول إلى فهم صفات الله إلا بوسيلة هي من صفات نفسه عز وجل. ولولا الحجب التي تستر كنه جمال كلام الحق بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرشٌ ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما لعظمة سلطانه وسبحات نوره. ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل تجليه فصار دكّاً.

الثاني: تعظيم المتكلّم

فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن عليه أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأنّ في تلاوة كلام الله غاية الخطر فإنه عز وجل يقول عن كتابه إنه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ

﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

فكما أن ظاهر المصحف وهو جلده وورقه يمنع القارىء من لمس الآيات بيده إن لم يكن متطهراً فكذلك باطنه أيضاً، فهو بحكم عزّه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا أن يكون هذا القلب منقطعاً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم. إذاً فكما أنه لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد، كذلك لا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب.

فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وأفعاله. فإذا تفكر في العرش والكرسي والسماوات والأرضين وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار و. . . ، وعلم أن الخالق لها كلها والقادر عليها والرازق لها واحد، وإن الكل في قبضة قدرته، مردّدون بين فضله ورحمته، وبين نقمته وسطوته، وأنّه إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه هو الذي يقول:

«هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي».

وهذه غاية العظمة والتعالي والتفكر في مثل هذه الأمور يقود إلى تعظيم المتكلم ثم تعظيم كلامه.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس

قيل في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[2] أي بجدّ واجتهاد، وذلك من خلال التفرّغ له عند قراءته وانصراف الهم إليه والانشغال به دون غيره.

وهذه الصفة تتولد من التعظيم، فإنّ من يعظّم الكلام الذي يتلوه،

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٢.

يستأنس به ولا يغفل عنه. ففي القرآن ما يستأنس به القلب.

الرابع: التدبر

إن الهدف من وراء القراءة هو التدبر في آيات الكتاب ومعانيها، ولذلك أمر الناس بترتيل القرآن لأن الترتيل في الظاهر يمكّن من التدبر في الباطن. قال علي عليه السلام:

«لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها»[1].

والترديد يساعد على التدبر، لذلك روي أن النبي صلى الله عليه وآله: «قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فردّدها عشرين مرّة»[2]، وإنما ردّدها لتدبّره في معانيها.

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال:

«قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ليلة بآية يردّدها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾»[3].

الخامس: التفهّم

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ في القرآن ذكر لصفات الله وأفعاله وذكر لأحوال أنبيائه عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنّة والنار.

أما الصفات فكقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4] وكقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ

(١) تحف العقول: ص٢٠٤.
(٢) رواه أبو ذر الهروي في معجمه.
(٣) أخرجه ابن ماجة: رقم ١٣٥٠.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[1] فعلى القارىء أن يتأمل معاني هذه الأسماء والصفات حتى ينكشف له أسرارها ومعانيها الدفينة التي لا تنكشف إلا للموفقين.

سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله شيء سوى القرآن؟ فقال:

«لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه»[2].

أما أفعاله فكذكره خلق السماوات والأرض وغيرها، فالفعل يدل على الفاعل، فتدل عظمة الفعل على عظمة الفاعل، والذي ينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل. فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء منه وإليه وبه وله، فهو الكل، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأنّ كل شيء هالك إلا وجهه، لا أنه سيبطل بل هو الآن باطل إن اعتبر وجوده من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادىء علم المكاشفة. ولهذا ينبغي عليه إذا قرأ قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾[3]، أن لا يقصّر نظره على الماء والنار والحرثة والمني، بل عليه أن يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وإلى كيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.
(٢) أخرجه النسائي من رواية أبي جحيفة.
(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣، ٦٨، ٧١، ٥٨.

الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها.. ثم إلى ما ظهر فيه من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره، ثم إلى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل والكذب والمجادلة وغيرها. كما قال الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾(١) فيتأمل في هذه الآيات ليرتقي منها ويصل إلى من صدرت عنه هذه الآيات، فلا يزال ينظر إلى الصنعة حتى يرى الصانع.

أما أحوال الأنبياء فإنه إذا عرف كيف أنهم كذّبوا وضربوا وقتل بعضهم، فسيفهم منها استغناء الله تعالى عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر ذلك في ملكه، وإذا نصر الله أنبياءه يفهم من هذا النصر قدرة الله وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم، فيستشعر منها الخوف من سطوته ونقمته، وأنه إذا غفل وأساء الأدب واغترّ بما أمهل فربما تدركه النقمة. وإذا سمع عن وصف الجنة والنار فهم منه أن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه، قال الله تعالى:

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وقال عز وجل:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(٣).

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

ومن لم يكن له نصيب من فهم القرآن ولو في أدنى درجاته دخل في قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾.

فقال الله عنهم:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[1].

حتى قيل: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد.

السادس: التخلّص من موانع الفهم

إن أكثر الناس منعوا من فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عن أسرار القرآن، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت».

ومعاني القرآن هي من جملة الملكوت، لأن كل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة عدّ من الملكوت، وحجب الفهم أربعة هي:

الأول: الاهتمام الزائد بمخارج الحروف

من الحجب المهمة التي تحول دون فهم معاني القرآن وأسراره الباطنية هو انصراف الهم نحو إخراج الحروف من مخارجها بالشكل الصحيح دون الغوص في معاني القرآن، وهذا ما يصرف القارىء عن

(١) سورة محمد، الآية: ١٦.

فهم معاني كلام الله. ولا يزال الشيطان يحملهم على ترديد الحروف والعناية الزائدة في مخارجها حتى يخيّل إليهم أنهم لم يخرجوا الحروف من مخارجها بالشكل الصحيح والمطلوب بعد، فيزداد انشغالهم بمخارج الحروف حتى تغيب الأسرار والمعاني عنهم.

الثاني: التقليد والتعصب

إذا كان القارىء مقلداً لمذهب سمعه وجمد عليه حتى صار متعصباً له من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فإنه يكون قد قيّدة معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكن أن يخطر بباله غير ما اعتقده. فإن لمع له برق وبدا له معنى من المعاني يباين ما سمعه واعتقد به حمله الشيطان على إنكاره، بحجة أن هذا يخالف معتقد آبائه.

ولذلك قالت الصوفية: إن العلم حجاب، أرادوا بالعلم العقائد التي استمرّ عليها أكثر الناس وجمدوا عليها لمجرد التقليد أو لمجرّد كلمات جدلية حرّرها المتعصبون للمذاهب. وهذه العصبية والتقليد تحولان دون إدراك العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، كما وتحولان دون معرفة الحقّ، لأن للحق مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الباطن.

الثالث: الذنوب والمعاصي

إن الإصرار على ارتكاب الذنوب من التكبر وحب الدنيا وغيرها.. من الأمور والأسباب التي تؤدي إلى ظلمة القلب وصدئه. وهي كالخبث على المرآة بحيث تمنع من أن يتجلى الحق فيها. وهي من الحجب العظيمة التي ابتلي بها أكثر الناس. وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً كانت معاني الكلمات أشد احتجاباً. وكلما خفّ ثقل الدنيا عن القلب صار أقرب إلى تجلي الحق فيه.

فالقلب كالمرآة والشهوات كالصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة القلبية التي تهدف إلى إماطة الشهوات مثل الأداة التي تصقل المرآة وتجليها. ولذلك قال النبي ﷺ:

«إذا عظّمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي»(1).

فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة ليس من ذوي الألباب لذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب ومعانيه. قال الله عز وجل:

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾(2).

وقال عز اسمه:

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾(3).

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(4).

الرابع: شبهة التفسير بالرأي

إن من الحجب العظيمة التي تحول دون إدراك معاني الآيات الكريمة وأسرارها أن يعتقد القارىء أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله المفسرون وأن وراء ذلك تفسير بالرأي، وأنّ من فسّر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار. وهذه شبهة تحرم الإنسان من الاستفادة من كتاب الله، وسنبين حقيقة معنى التفسير بالرأي لاحقاً.

---

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف.

(2) سورة ق، الآية: ٨.

(3) سورة المؤمن، الآية: ١٣.

(4) سورة الرعد، الآية: ٢١.

السابع: تطبيق القرآن على النفس

على القارىء لكتاب الله أن يقدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإذا سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه هو المنهيّ والمأمور، وكذلك إذا سمع وعداً أو وعيداً. وإن سمع قصص الأنبياء والأولين علم أن المقصود منها ليعتبر بها وليأخذ منها ما يحتاج إليه، إذ ما من قصة في القرآن إلا وفي سياقها فائدة. قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[١].

فالله تعالى يثبّت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الأذى وثباتهم على الدين انتظاراً لنصر الله.

فالقرآن الكريم نعمة عظيمة نزلت على رسول الله ﷺ، وهو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى كافة الناس بشكر نعمة الكتاب فقال:

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[٢].

وقال عز وجل:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[٣].

وقال عز اسمه:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وقال تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾[1].

وقال:

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[2].

وقال:

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3].

وقال:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[4].

إذاً فالخطاب الإلهي يشمل جميع الناس ويشملك أنت أيضاً أيها القارىء لكتاب الله العزيز فينبغي أن تعرف أنك أنت أيضاً مقصود به. قال الله تعالى:

﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[5].

ومن بلغه القرآن فكأنما كلّمه الله تعالى، ومن أدرك هذه الحقيقة صار يقرأ القرآن كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتب إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه. قال الله تعالى:

﴿هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[6].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

الثامن: التأثر والاتعاظ

على القارىء أن يكون قلبه متأثراً بآيات الله على اختلافها، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد ووجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها.. وكلما تمت له المعرفة بكتاب الله كانت الخشية على قلبه غالبة.

فإن من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ ثم يتبعها بقوله تعالى: ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] وهكذا من يتصفح القرآن من أوّله إلى آخره فمن الجدير أن تكون حاله الخشية والحزن. حتى قيل: إنه لا يتلو هذا القرآن مؤمن إلا كثر حزنه، وقلّ مزحه، وكثر بكاؤه، وقلّ ضحكه، وكثر نصبه وشغله، وقلّت راحته.

والمقصود من التأثر بالتلاوة هو أن يتصف القارىء بالآية المتلوّة، فعند الوعيد تأخذه الخيفة حتى يكاد يموت، وعند الوعد بالمغفرة يستبشر حتى يكاد يطير من الفرح، وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ لجلاله واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالهم، وعند وصف الجنة ينبعث في باطنه شوق إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها.

روي أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود:

«إقرأ عليّ قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي: حسبك»[1].

فإذا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] ولم يصبه الخوف كان مجرّد حاكياً في كلامه.

وإذا تلا قوله: ﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾[3] ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً.

وإذا قرأ ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾ فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة. وإن لم يتحلَّ بهذه الصفات ولم يتردّد قلبه بين هذه الحالات كان حظّه من التلاوة مجرد حركات اللسان، وعندها ينبغي أن يخاف على نفسه من أن يكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[4] ومن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[5] ومن قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[6] ومن قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[7] أي مجرد التلاوة، ومن قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[8].

فالقرآن الكريم يبيّن آيات الله وإذا تجاوزها القارىء من دون أن يتأثر بها كان كمن أعرض عنها. والمعرض عن العمل بالكتاب فهو ممن قال الله عنهم:

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٤) سورة الصف، الآية: ٣.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١.
(٦) سورة النجم، الآية: ٢٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٧٨.
(٨) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1].

ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرأونه»[2].

وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3].

وقال ﷺ:

«إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ أُريت أنه يخشى الله عز وجل»[4].

فالغرض من القرآن استجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل بها. قال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال: جعلت القراءة عليّ عملاً إذهب فاقرأ على الله عز وجل وانظر بماذا يأمرك وعماذا ينهاك وماذا يفهمك. لأن مجرد حركات اللسان لا جدوى منها، والمعرض جدير بأن يكون داخلاً في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) البخاري: ج٦ ص٢٤٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣.

(٤) رواه الدارمي: ج٢ ص٤٧١.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وفي قوله عز وجل:

﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1].

فتلاوة القرآن حقّ تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، بحيث يكون حظ اللسان منه تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثير بالانزجار والائتمار، فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ.

التاسع: الترقّي

والمقصود منه أن يترقى العبد إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث: أدناها أن يقدّر العبد كأنه يقرأه على الله واقفاً بين يديه ناظراً إليه ومستمعاً منه، فتكون حاله السؤال والتملّق والتضرّع والابتهال.

الثانية: أن يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فحاله هنا الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم.

الثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات والأسماء فلا يكون ناظراً إلى نفسه ولا إلى قراءته، بل يكون همّه منصباً على المتكلم، مستغرقاً بمشاهدته. وهذه درجة المقربين وأما المرتبة التي قبلها فهي من درجات أصحاب اليمين، وما خرج عنها فهو في درجات الغافلين. ولقد قال الإمام الصادق عن الدرجة العليا:

«والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون»[2].

ولما سألوه عليه السلام عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرّ مغشياً عليه قال:

---

(1) سورة طه، الآية: ١٢٦.

(2) أسرار الصلاة للشهيد: ص٢٠٤.

«ما زلت أردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته».

وفي مثل هذه الدرجة تعظم حلاوة ولذّة المناجاة. فلو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن لأنها بالطهارة ترتقي القلوب إلى سماع المتكلّم. فمثلاً إذا قرأ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[2] فإن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره. وكل ما التفت إليه العبد كان التفاته متضمناً لشيء من الشرك الخفي. بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله تعالى.

العاشر: التبرّي

والمقصود منه أن يتبرّأ العبد من حوله وقوّته والإلتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية. فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين لم يشهد نفسه في ذلك، بل يشهد الموقنين والصدّيقين فيها ويتشوّق أن يلحقه الله بهم. وإذا تلا آية المقت والذم للعصاة والمقصرين شهد نفسه في ذلك وقدّر أنه المخاطب.

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليعليه السلام في خطبته التي يصف فيها المتقين حيث قال:

«. . . إذا مرّوا بآية فيها تخويف اصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم. . .»[3].

فإذا رأى العبد نفسه بصورة التقصير كانت رؤيته هذه سبباً يقرّبه من الحق، فإن من يشهد البعد في القرب يلطف به الله لخوفه حتى يسوقه

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥١.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ١٩١.

إلى درجة أخرى من القرب. ومن يشهد القرب في البعد مكر به الحق بالأمن من مكره الذي يفضيه إلى درجة أخرى من البعد أسفل مما هو فيه.

وإذا شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه، أما لو جاوز حدّ الالتفات إلى النفس فلم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله. فعندما يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً.

وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع العذاب. ذلك لأن كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجوّ والمخوف. فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال. فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ وإذا تفرغت نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده. وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأُولتين استأنست روحه وسرّه بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله لعباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول

كراماته وبدائع إشاراته. فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على تلك الحال حالاً ولا ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتّله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[1].

(١) مصباح الشريعة: الباب ١٤.

شبهة التفسير بالرأي

يمكن لقائل أن يقول: إنه إذا كان فهم أسرار القرآن ومعانيه من الأمور الهامة والعظيمة فكيف ينسجم ذلك مع قول رسول الله ﷺ:

«من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»[1].

وفي الجواب نقول: إنه من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو يخبر عن حدّ نفسه وما وصل إليه فهمه وإدراكه وهو في هذه الحالة مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطىء في حكمه برد الخلق كافة إلى درجته وحدّه، بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن».

وقال قال النبي ﷺ:

«إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً»[2].

وقال ﷺ:

«اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي: ج١١ ص٦٧.

(٢) تفسير البرهان: ج١ ص٢٠.

(٣) أخرجه البيهقي عن أبي هريرة.

ويمكن أن نوجّه الأمر فنقول إن النهي عن التفسير إنما يكون على أحد وجهين:

الأول: أن يؤول المفسّر القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على غرضه ومدعاه. وهو تارة يكون مع علم المفسّر بأنه غير مصيب في تفسيره وأنه ليس هذا هو المراد بالآية ولكن إنما يريد أن يتعالى على خصمه ويهزمه. وتارة أخرى يكون جاهلاً ولكن إذا كان ما فسّره محتملاً فتراه يميل إلى الوجه الذي يوافق غرضه فيرجح جانباً ما عن غيره برأيه وهواه وهكذا يكون ممن فسّر القرآن برأيه. وقد يكون غرضه صحيحاً فيطلب له دليلاً من القرآن يستدل به على صحة غرضه، كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل مثلاً بقوله ﷺ: «تسحروا فإن السحور بركة»[1]، فيزعم أن المراد بالتسحر الذكر وهو يعلم أن المراد منه الأكل. أو كالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي محتجاً بقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2] مدعياً أن المراد بفرعون هو هذا القلب القاسي وهكذا..

هذا هو أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي هو الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح.

الثاني: أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر اللغة العربية من غير استظهار لما في القرآن الكريم من الألفاظ المبهمة والمبدّلة وما فيها من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير.

فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني من مجرّد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي. وليعلم أنه لا ينبغي الاستخفاف بالتفسير الظاهري إذ لا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة طه، الآية: ٢٦.

فمن الأمور المضمرة والموجزة في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[1] معناه أنها آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، أما الناظر إلى ظاهر اللغة العربية فيظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[2] أي حب العجل فحذفت كلمة الحب.

وقوله عز وجل: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾[3] أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى.

وقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[4] أي أهل القرية.

وقوله: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5] أي خفيت على أهل السماوات والأرض، فالشيء إذا خفي ثقل، فأبدل اللفظ وأقيمت (في) مقام (على). وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[6] أي شكر رزقكم وغيرها الكثير.. ومنها المنقول المنقلب؛ كقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أي طور سيناء. ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام؛ كقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[7] وقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[8] ومعناه: قال الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٧) سورة يونس، الآية: ٦٦.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٧٥.

ومنها المقدم والمؤخر، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾[1] أي ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً وبه ارتفع الأجل، ولولاه لكان نصباً كاللزام.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[2] أي يسألونك عنها كأنك حفيّ. ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان في كلمة أو حرف. أما الكلمة نظير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[3] أي الأمر بالعدل والاستقامة.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[4] أراد به النفقة مما رزق.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾[5] أي من غير خالق.

أما القرين فكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾[6] أراد به الملك الموكل به. وقوله عز وجل: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾[7] أراد به الشيطان وأما الأمة فتطلق على عدّة أوجه؛ الأمة الجماعة كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[8]، وبمعنى رجل خير يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[9]، والأمة بمعنى الدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[10]، والأمة بمعنى الحين والزمان

(١) سورة طه، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٦.
(٤) سورة النحل، الآية: ٧٥.
(٥) سورة الطور، الآية: ٣٥.
(٦) سورة ق، الآية: ٢٣.
(٧) سورة ق، الآية: ٢٧.
(٨) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٩) سورة النحل، الآية: ١٢٠.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

كقوله: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾[1] وقوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾[2] وغيرها..

وقد يقع الإبهام في الحروف أيضاً كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾[3] يعني بالسحاب. وقوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ يعني بالماء، وأمثال هذا في القرآن لا حصر له.

ومنها التدريج في البيان كقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[4] إذ لم يظهر من الآية أنه نزل بالليل أم بالنهار ثم بان ذلك في آية أخرى حيث يقول عز اسمه ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[5] ولكنه لم يظهر في أي ليلة ثم ظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾[6].

إذاً فالقرآن الكريم من أوّله إلى آخره غير خال عن هذه الأمور لأنه أنزل بلغة العرب وهو مشتمل على أصناف كلامهم من الإيجاز والتطويل والإضمار والحذف والإبدال والتقديم والتأخير وغيرها، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن فهو داخل فيمن فسّر القرآن برأيه. وكمن فهم من الآية معنى ما فمال طبعه ورأيه إليه حتى إذا سمع في موضع آخر تفسيراً آخر مال إليه دون تتبع وتحقيق، فهذا منهي عنه دون التفهّم لأسرار القرآن ومعانيه.

ويمكن أن نقرّب الصورة أكثر لنوضح الفرق بين فهم معاني القرآن والاكتفاء بالظاهر من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ

---

(1) سورة هود، الآية: ٨.
(2) سورة يوسف، الآية: ٤٥.
(3) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.
(4) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(5) سورة الدخان، الآية: ٣.
(6) سورة القدر، الآية: ١.

ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم معناه الباطني وهو أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[2]، فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذّب وإن كان الله هو المعذّب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟ إن حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة، ثم يفهم وجه ارتباط القدرة الحادثة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد اتضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

ولعله لو أنفق العمر في استكشاف أسرار هذه الآية وما يرتبط بمقدماتها ولواحقها لانقطع العمر قبل استيفائه.

وإنما تنكشف هذه الأسرار للراسخين في العلم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وقدرتهم على التدبر والتجرّد. أما الاستيفاء فلا مطمع فيه، فلو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فإن أسرار كلمات الله لا نهاية لها، والأبحر ستنفد قبل أن تنفد كلمات الله، فمن هذه الجهة يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير.

وكمثال على فهم أرباب القلوب قول النبيﷺ في سجوده:

«أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء في الركوع والسجود: ج١ ص٢٠٣.

فقد أمر الرسول بالسجود لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[1]، فوجد الرسولﷺ القرب في السجود، فنظر أول ما نظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان، ثم ازداد قربه فارتقى إلى الذات فقال: «أعوذ بك منك» ثم ازداد قربه لما استحيى من الاستعاذة وهو في مقام القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: «لا أحصي ثناء عليك»، ثم علم أن ذلك قصور فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك».

فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب، وأسرار ذلك كثيرة لا يدل تفسير اللفظ لوحده عليه، وهو ليس مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه، وهذا هو المقصود من فهم المعاني الباطنية للقرآن، أي التي لا تناقض الظاهر والله العالم.

---

(١) سورة العلق، الآية: ١٩.

الذكر والدعاء

مقدمة

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وقال عز اسمه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3]، إنه ليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدّى باللسان أفضل من ذكر الله ورفع الحاجات إليه بالأدعية الخالصة إليه. لذا كان لا بد من شرح فضيلة الذكر والدعاء وشروطه وآدابه ثم نقل المأثور من الدعوات وهذا ما سنقوم به في هذا الفصل من الكتاب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

فضيلة الذكر في الآيات والروايات

يدل على فضيلة الذكر جملة من الآيات منها قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

وقال عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[1].

وقال عز اسمه:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[3].

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[4].

وقال عز وجل:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[1].

وقال عز اسمه في ذم المناقين:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[3].

وقال عز وجل:

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[4].

إلى غير ذلك من الآيات. وأما الأخبار فقد قال النبيﷺ:

«ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم»[5].

وقالﷺ:

«ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين»[6].

وقالﷺ يقول الله تعالى:

«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرك بي شفتاه»[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٦) أخرجه الطبراني.

(٧) أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٧٩٢.

وقال ﷺ:

«ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع»[1].

وقال ﷺ:

«من أحب أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر ذكر الله»[2].

وسئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال:

«أن تموت ولسانك رطب بذكر الله»[3].

وقال النبي ﷺ:

«قال الله عز وجل: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خيرٍ من ملئهِ وإذا تقرّب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً، وإذا مشى إليّ هرولت إليه»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الله تعالى يقول: من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني»[5].

---

(١) مشكاة المصابيح: ص ١٩٩.
(٢) مصابيح السنة: ج ١، ص ١٤٩.
(٣) أخرجه ابن السنى في عمل اليوم والليلة: ص ٣.
(٤) أخرجه مسلم: ج ٨، ص ٦٧.
(٥) الكافي: ج ٢، ص ٥٠١.

وعنه عليه السلام قال:

«قال الله تعالى: من ذكرني سرّاً ذكرته علانية»[1].

وروي أيضاً أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام:

«يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، واذكرني في ملئك أذكرك في ملأٍ خير من ملأِ الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من أكثر ذكر الله أظلّه الله في جنته»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكثر ذكر الله أحبّه الله، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً»[5].

وعنه عليه السلام قال:

«ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله تعالى الفرائض فمن أدّاهنّ فهو

---

(١) أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٧٩٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٠، ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ٣.

(٥) المصدر السابق: ج ٢.

حدّهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، والحج فمن حجّ فهو حدّه إلا الذكر فإن الله تعالى لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1]. قال: لم يجعل له حداً ينتهي إليه، وكان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّي لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين. وقد قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير أعمالكم، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم خير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى كثيراً. ثم قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكراً؛ وقال رسول الله ﷺ: من أعطي لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، وقال في قوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾﴾ قال: لا تستكثر ما عملت من خير الله»[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب، وإن ترك ذكري يقسي القلوب»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: إلهي إنه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلك أن أذكرك فيها، فقال: يا موسى إنّ ذكري حسنٌ على كل حال»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لا بأس بذكر الله وأنت تبول فإن ذكر الله حسن على كل حال، فلا تسأم من ذكر الله»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«إنّ الصواعق لا تصيب ذاكراً»[4].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٧، ح ٦.
(٢) المصدر السابق: ح ٧.
(٣) المصدر السابق: ح ٨.
(٤) المصدر السابق، ص ٥٠٠، ح ٢.

فضيلة مجالس الذكر

قال النبي ﷺ:

«ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[١].

وقال ﷺ:

«ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدّلت سيئاتكم حسنات»[٢].

وقال ﷺ أيضاً:

«ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة»[٣].

وقال ﷺ:

«إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتّاب الناس، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله سبحانه تنادوا هلمّوا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء الدنيا

---

(١) صحيح مسلم: ج ٨، ص ٧٢.

(٢) مسند أحمد: ج ٣، ص ١٤٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٧.

فيقول الله تبارك وتعالى: على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك، فيقول: وهل رأوني؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف ولو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً، فيقول لهم: من أيّ شيء يتعوّذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً، فيقول: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد حرصاً عليها، فيقول: فإني أشهدكم أني غفرت لهم، فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«ما من مجلس يجتمع فيه أبرارٌ وفجّار فيقومون على غير ذكر الله إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله تعالى ولم يصلّوا على نبيّهم إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم».

وعنه عليه السلام قال:

«ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا

---

(١) أخرجه البخاري: ج ٨، ص ١٠٨.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٦، ح ١.

إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثم قال: قال أبو جعفرعليه السلام: إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان»[1].

وعن أبي جعفر الباقرعليه السلام قال:

«مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسىعليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أقريب أنت مني فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ قال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابّون فأحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم»[2].

(١) الكافي: ج٢، ص٤٩٦.

(٢) المصدر السابق: ح ٤.

فضيلة التهليل والتكبير والتحميد

قال النبي ﷺ:

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[1].

وقال ﷺ:

«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور، كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور»[2].

وقال ﷺ:

«ليدخلن الجنة كلكم إلا من تأبّى وشرد على الله شرد البعير على أهله، فقيل يا رسول الله من الذي تأبّى؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله، فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنّة»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي: ج ١٣، ص ٨٣.

(٢) أخرجه الطبراني في المسند الكبير.

(٣) أخرجه البخاري.

وعن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول:

«ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلا الله، إنّ الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمور أحد»[1].

وعن الإمام الباقرعليه السلام أيضاً قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال: لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة في ياقوتة حمراء منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك فيها أمثال ثدي الأبكار تعلو عن سبعين حلّة»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«خير العبادة قول: لا إله إلا الله»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً:

«خير العبادة قول: لا إله إلا الله، وقال: خير العبادة الاستغفار وذلك لقول الله تعالى في كتابه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾»[4].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال:

«ثمن الجنة قول: لا إله إلا الله والله أكبر»[5].

وعنهعليه السلام أيضاً قال:

«قال جبرئيلعليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن قال من

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥١٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥١٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

أمتك: لا إله إلا الله وحده وحده وحده»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«من قال عشر مرات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كانت كفارة لذنوبه ذلك اليوم»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلى الغداة فقال قبل أن ينفض ركبتيه عشر مرات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، وفي المغرب مثلها لم يلق الله عز وجل عبد بعمل أفضل من عمله إلا من جاء بمثل عمله»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من قال عشر مرات في كل يوم: أشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، «إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً»، كتب الله له خمسة وأربعين ألف حسنة ومحا عنه خمسة وأربعين ألف سيئة ورفع له خمسة وأربعين ألف درجة»[4].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، ص ٥١٩.

وفي رواية أخرى:

«وكُنَّ له حرزاً في يومه من الشيطان والسلطان، ولم تحط به كبيرة من الذنوب»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام أيضاً قال:

«من قال في كل يوم: «لا إله إلا الله حقًّا حقًّا، لا إله إلا الله عبودية ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً» أقبل الله تعالى عليه بوجهه ولم يصرف وجهه عنه حتى يدخل الجنة»[2].

وعن أبان بن تغلب عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وجبت له الجنة» قال: قلت له: يأتيني من كل صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين فتسلب لا إله إلا الله منهم إلا من كان على هذا الأمر»[3].

روي أنه وافى أبو الحسن الرضاعليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له:

«يابن رسول الله ترحل عنها ولا تحدّثنا بحديث فنستفيد منك، وقد كان قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال:

سمعت أبا موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصر السابق، ص ٥٢٠.

محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي». فلما مرّت الراحلة نادانا عليه السلام: بشروطها وأنا من شروطها»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«جاء الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله إن الأغنياء لهم ما يعتقون وليس لنا، ولهم ما يحجّون وليس لنا، ولهم ما يتصدّقون وليس لنا، ولهم ما يجاهدون وليس لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كبّر الله تعالى مائة مرّة كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن سبّح الله مائة مرّة كان أفضل من سياق مائة بدنة، ومن حمد الله مائة مرّة كان أفضل من حملان مائة فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها وركبها، ومن قال: «لا إله إلا الله» مائة مرّة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلا من زاد، قال: فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه، قال: فعاد الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ما قلت فصنعوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أكثروا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحب إلى الله

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢٧٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٥.

من التهليل والتكبير»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرساً في حائط له، فوقف عليه وقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً وأسرع أيناعاً وأطيب ثمراً وأبقى؟ قال: بلى فدلني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإن لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة وهنّ من الباقيات الصالحات قال: فقال الرجل فإني أشهدك يا رسول الله أن حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة، فأنزل الله تعالى آيات من القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾»[3].

وعن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك علّمني دعاءً جامعاً فقال لي:

«احمد الله فإنه لا يبقى أحدٌ يصلّي إلا دعا لك يقول:

---

(1) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٦.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(سمع الله لمن حمده)»[1].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال: أن تحمده»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله في كل يوم ثلاثمائة مرّة وستين مرّة عدد عروق الجسد يقول: الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كل حال»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من قال أربع مرات إذا أصبح: «الحمد لله رب العالمين» فقد أدى شكر يومه ومن قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾»[5].

وعنه عليه السلام قال:

«من قال عشر مرات: «يا ربّ يا ربّ يا ربّ» قيل له: لبّيك ما حاجتك»[6].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، ص ٥٠٠.
(٦) المصدر السابق، ص ٥٢٠.

وعنه عليه السلام قال:

«إذا دعا الرجل فقال بعدما دعا: «ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله» قال الله تعالى: استبسل عبدي واستسلم لأمري اقضوا حاجته»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«من قال: «ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله» سبعين مرّة صرف الله عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أيسر ذلك الخنق، قيل: وما الخنق؟ قال: لا يعتلّ بالجنون فيخنق»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«ما من عبد يقول حين يمسي ويصبح: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً، وبالقرآن بلاغاً، وبعلي إماماً» ثلاثاً إلا كان حقاً على الله العزيز الجبار أن يرضيه يوم القيامة»[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«ما من عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس: «الله أكبر الله أكبر كبيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً والحمد لله رب العالمين كثيراً لا شريك له وصلى الله على محمد وآله» إلا ابتدرهنّ ملك وجعلهن في جوف جناحه وصعد بهنّ إلى السماء الدنيا فيقول له الملائكة: ما معك؟ فيقول معي

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢٥.

كلمات قالهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا، فيقولون: رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له، قال: وكلما مرّ بسماء قال لأهلها مثل ذلك، فيقولون: رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفر له، حتى ينتهي بهنّ إلى حملة العرش فيقول لهم: إنّ معي كلمات تكلّم بهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا وكذا، فيقولون: رحم الله هذا العبد وغفر له، انطلق بهنّ إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين فإنّ هؤلاء كلمات الكنوز حتى تكتبهنّ في ديوان الكنوز»[1].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٢٦.

حضور القلب أثناء الذكر

اعلم أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، أما الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى، بل إن حضور القلب مع الله تعالى دائماً أو في أكثر الأوقات هو أمر مقدم على العبادات، بل به تشرّف سائر العبادات، وهو غاية ثمرة العبادات العملية.

وللذكر أوّل وآخر، فأوّله يوجب الأنس والحب وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه. فإن المريد في بداية الأمر قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى، فإن وفق لذلك بعد المداومة عليه فترة من الزمن أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور.

وكذلك هو الأمر بالنسبة للأنس، فالذاكر في البداية يتكلف الذكر حتى يثمر هذا التكلف الأنس بالمذكور والحب له، ثم بعد طول مداومة يختفي التكلّف عنه ويحل محله الأنس. وهذا معنى قول بعضهم: كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب، ولا يصدر الأنس والحب إلا من المداومة والتكلّف مدّة طويلة حتى يصير التكلّف طبعاً.

فالنفس معتادة لما تكلّف: «هي النفس ما عوّدتها تتعوّد». أي ما كلّفها أولاً يصير لها طبعاً آخراً. ثم إذا حصل الأنس بذكر الله انقطع الإنسان عن غير الله، وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا

يبقى معه في القبر، من مال وأهل وولد وولاية وغيرها.

لذا قال النبي ﷺ:

«إنّ روح القدس نفث في روعي؛ أحبب ما أحببت فإنك مفارقه»[1].

أراد ﷺ به أن كل ما يتعلق بالدنيا فإن مصيره الفناء والزوال، ولذلك قال الله تعالى في كتابه الكريم:

فـ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[2].

أما الأنس فإنه يبقى ويتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله تعالى ثم يترقّى في الذكر إلى أن يصل إلى مقام اللقاء. وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور.

فذكر الله والأنس به يبقى بعد الموت ولا ينعدم بل يستمر إلى ما بعد هذه النشأة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ:

«القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنّة»[3].

وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين:

«يا فلان ويا فلان ويا فلان ـ وقد سماهم ـ إني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فسمع عمر قوله فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنّى يجيبون وقد قتلوا؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع كلامي

---

(١) الكافي: ج ١، ص ١٨٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) الكافي: ج ٣، ص ٢٤٢.

منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»[1].

وقال الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾[2].

ولأجل شرافة ذكر الله عظمت رتبة الشهادة، لأن غاية الإنسان المؤمن هي حسن الخاتمة، والمقصود بها وداع الدنيا والوفود على الله والقلب مستغرق به منقطع إليه. فإن قدر العبد على أن يجعل همّه مستغرقاً بالله ومن ثم يموت على تلك الحالة، فإنه قد قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها، فإنه كان يريدها لحياته فهوّن على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته، ولا تجرّد لله أعظم من ذلك. ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى، منها أنه لما استشهد عبد الله الأنصاري يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر:

«ألا أبشّرك يا جابر؟ قال: بلى يا رسول الله بشّرك الله بالخير، قال: إن الله سبحانه أحيى أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى: تمنّ عليّ يا عبدي ما شئت أعطكه، فقال: يا ربّ تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيّك مرّة أخرى، قال الله تعالى: سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون»[3].

فالقتل في سبيل الله سبب لحسن الخاتمة، أما لو لم يقتل الإنسان

---

(١) أخرجه مسلم: ج ٨، ص ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) أخرجه ابن ماجة: رقم ١٩٠.

في سبيل الله وبقي مدّة فربما عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى. ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة. فالقلب وإن ألزم ذكر الله فهو متقلّب لا يخلو من الالتفات إلى شهوات الدنيا، ولا ينفك عن فتور قد يعتريه، فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن هذه الدنيا على هذه الحالة فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه.

لذا فإن أسلم الأحوال عن هذا الخطر هو خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو صيت شجاعة أو غير ذلك كما ورد به الخبر. بل كان قصد الشهيد حبّ الله وغايته إعلاء كلمته كما قال عز وجل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] فالشهيد الحقيقي هو الذي لا يكون له مقصود سوى الله، لأن كل مقصود معبود وكل معبود إله. ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما من الذكر والغفلة. فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحركه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضا الإيمان، فإن الله عالم بسرّك وجهرك وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر، غير شاغل نفسك عما عناك

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٢) أخرجه البزاز عن أبي سعيد.

مما كلّفك به ربّك في أمره ونهيه ووعده ووعيده ولا تشغلها بدون ما كلّفك، واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من أجل ذكره إياك فإنه ذكرك وهو غني عنك فذكره لك أجلّ وأشهى وأتمّ من ذكرك له وأسبق، ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب مننه وتخلص لوجهه. ورؤيتك ذكرك له تورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك من الله إلا بعداً، ولا يستجلب به على مضيّ الأيام إلا وحشة، والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب، وذكر صارف ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكره لله مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل ذكره له فمن دونه أولى، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره»[1].

---

(١) مصباح الشريعة: الباب الخامس.

فضيلة الدعاء

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾[1].

وقال عز وجل:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[3].

وقال عزّ اسمه:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.

وعن النبي محمد ﷺ قال:

«إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾»[1].

وقال ﷺ أيضاً:

«الدعاء مخّ العبادة»[2].

وعنه ﷺ قال:

«إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاثة إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجّل له، وإما خير يدّخر له»[3].

وقال ﷺ:

«سلوا الله من فضله فإنه يحبّ أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج»[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء، قلت: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ قال: الأواه هو الدَّعَاء»[5].

وعنه عليه السلام أنه سئل أي العبادة أفضل؟ فقال:

«ما من شيء أفضل عند الله من أن يُسأل ويُطلب مما عنده وما أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل

---

(1) مشكاة المصابيح: ص ١٩٤.
(2) أخرجه الترمذي: ج ١٢، ص ٢٦٦.
(3) أخرجه الديلمي في الفردوس.
(4) أخرجه الترمذي: ج ١٣، ص ٧٧.
(5) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦، ح ١.

ما عنده»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«عليكم بالدعاء فإنكم لا تقرَّبون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها، إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«يا ميسّر ادع ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تُعط، يا ميسّر إنه ليس من باب يقرع إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من لم يسأل الله من فضله افتقر»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف؛ قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء»[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٦٦.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٧، ح ٦.
(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦، ح ٣.
(٤) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٧، ح ٤.
(٥) المصدر السابق: ح ٨.

ونور السماوات والأرض»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقيّ وقلب تقيّ، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«الدعاء يردّ القضاء بعدما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله تعالى إلا بالدعاء، وأنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء ترس المؤمن، ومتى تُكثر قرع الباب يفتح لك»[4].

عن عمر بن يزيد قال:

«سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ الدعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر، قلت: ما قد قدّر قد عرفته فما لم يقدّر؟ قال: حتى لا يكون»[5].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٨، ح ١.
(٢) المصدر السابق: ح ٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٧٠، ح ٧.
(٤) المصدر السابق،، ص ٤٦٧، ح ٤.
(٥) المصدر السابق،، ص ٤٦٩، ح ٢.

وعنه عليه السلام قال:

«عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضي فلم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله تعالى وسئل صرف البلاء صرفه»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا قال: إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«عليك بالدعاء فإن فيه شفاء من كل داء»[4].

والأخبار في فضل الدعاء أكثر من أن تحصى...

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٠، ح ٨.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٧١، ح ١.
(٣) المصدر السابق: ح ٢.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٧٠، ح ١.

آداب الدعاء

آداب الدعاء عشرون وهي:

الأول: ترصد الأوقات الشريفة

من آداب الدعاء أن يترصد الإنسان لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، وشهر رمضان من الشهور ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال الله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾[1].

ولقول النبي ﷺ:

«ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[2].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنّ الله لينادي كل ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل الليل إلى آخره ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٨.

(٢) رواه البخاري: ج ٢، ص ٦٣.

الفجر فأتوب عليه، ألا عبد مؤمن قد قترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسّع عليه، ألا عبد مؤمن سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه، ألا عبد مؤمن محبوس مغموم يسألني أن أطلقه من سجنه واخلّي سربه، ألا عبدٌ مؤمن مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له وآخذ بظلامته، قال: فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر»[1].

وعنهعليه السلام قال:

«إنّ العبد المؤمن يسأل الله الحاجة فيؤخر الله تعالى قضاء حاجته التي سأل إلى يوم الجمعة».

وإن مُخّ الليل هو وقت فراغ القلب للعبادة والخلوة بمالك العباد وسلطان الدنيا والمعاد وهو المقصود من جوف الليل، فعن عمر بن أذينة قال سمعت أبا عبد اللّهعليه السلام يقول:

«إنّ في الليل ساعة ما يوافق فيها عبدٌ مؤمن يصلي ويدعو الله فيها إلا استجاب له، قلت له: أصلحك الله وأيّ ساعات الليل هي؟ قال: إذا مضى نصف الليل وبقي السدس الأوّل من أول النصف الثاني»[2].

وعن أبي جعفرعليه السلام قال:

«إنّ من السحر إلى طلوع الشمس يفتح أبواب السماء ويقسم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوائج العظام»[3].

وعن النبيصلى الله عليه وآله قال:

---

(١) الفقيه: ص ١١٣، ح ٢٤.
(٢) العدّة: ص ٢٩.
(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٨.

«إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان واستجيب الدعاء، فطوبى لمن رفع عند ذلك عمل صالح»(١).

الثاني: اغتنام الأحوال الشريفة

ومن آداب الدعاء أن يغتنم الإنسان الأحوال الشريفة كالزحف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة وما بين الأذان والإقامة وعند الصوم.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«اطلبوا الدعاء في أربع ساعات: عند هبوب الرياح، وزوال الأفياء، ونزول المطر، وأوّل قطرة من دم القتيل المؤمن، فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء»(٢).

وعنه عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: اغتنموا الدعاء عند أربع: عند قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفين للشهادة»(٣).

وعنه عليه السلام قال:

«يستجاب الدعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب»(٤).

وفي الحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً. فإن وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوّشات. ويوم

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٦، ح ١٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٧٦.
(٣) المصدر السابق: ص ٤٧٧.
(٤) المصدر السابق.

عرفة والجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله.

وهذه أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من الأسرار التي لا يطّلع عليها البشر. وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة لقول النبي ﷺ:

«أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء».

وقال ﷺ في حديث آخر:

«إنما نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظّموا فيه الربّ تعالى، وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء فإنه قمنٌ أن يستجاب لكم»[1].

الثالث: استقبال القبلة ورفع اليدين

ومن آداب الدعاء أن يدعو الإنسان وهو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى باطن إبطيه.

روى جابر بن عبد اللّه:

«إن رسول الله أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس»[2].

وروى أنس أنه ﷺ:

«كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بإصبعيه»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: ج ٢، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٤٢.

(٣) أخرجه البخاري: ج ٢، ص ٣٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيى الله تعالى أن يردّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسح على وجهه ورأسه»[1].

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قال:

«الق كفّيك ذُلاً بين يديَّ كفعل العبد المستصرخ إلى سيّده، فإنك إذا فعلت ذلك رحمت، وأنا أكرم القادرين، يا موسى سلني من فضلي ورحمتي فإنهما بيديّ لا يملكهما غيري، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي، لكل عامل جزاء وقد يجزى الكفور بما سعى»[2].

وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدعاء ورفع اليدين فقال عليه السلام:

«على خمسة أوجه: أما التعوّذ فتستقبل القبلة بباطن كفّيك، وأما الدعاء في الرزق فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء، وأما التبتّل فإيماؤك بإصبعك السبّابة، وأما الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك، وأما التضرّع أن تحرّك أصبعك السّبابة مما يلي وجهك وهو دعاء الخيفة».

وعن محمد بن مسلم قال:

«سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: مرّ بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا عبد اللّه بيمينك فقلت: يا عبد اللّه إن لله تبارك وتعالى حقاً على هذه كحقّه على هذه،

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٧١.

(٢) عدّة الداعي: ص ١٣٨.

وقال: الرغبة تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرهبة تبسط يديك وتظهر ظهرهما، والتضرّع تحرك السّبابة اليمنى يميناً وشمالاً، والتبتّل تحرك السّبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها رسلاً، والابتهال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء»[1].

وعن سعيد بن يسار قال:

«قال الصادق عليه السلام: هكذا الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء، وهكذا الرهبة وجعل ظهر كفّيه إلى السماء، وهكذا التضرّع وحرّك أصابعه يميناً وشمالاً، وهكذا التبتّل يرفع إصبعه مرّة ويضعها أخرى، وهكذا الابتهال ومدّ يده تلقاء وجهه وقال: لا تبتهل حتى تجري الدمعة، وفي حديث آخر الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه»[2].

وهذه الهيئات المذكورة إما تعبّد لعلّة لا نعلمها، أو لعلّ المراد ببسط كفّيه في الرغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله وحسن ظنّه بإفضاله ورجائه لنواله، فالراغب يسأل بالآمال فيبسط كفّيه لما يقع فيهما من الإحسان. والمراد بالرهبة في جعل الكفين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلّة والاحتقار لعالم الخفيات والأسرار أنا لا أجرأ على بسط كفّي إليك، لذا جعلت وجههما إلى الأرض ذلاً وخجلاً وأنا بين يديك.

ولعل أيضاً المراد في التضرع بتحريك الأصابع يميناً وشمالاً أنه يتأسّى بالثاكل عند المصائب الهائلة، فإنها تقلّب يديها وتنوح بهما إدباراً وإقبالاً ويميناً وشمالاً.

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٠.

(٢) المصدر السابق.

والمراد في التبتّل برفع الأصابع مرّة ووضعها أخرى هو الانقطاع، فكأنه يقول بلسان حاله: انقطعت إليك وحدك لما أنت أهله من الإلّهية فيشير بإصبعه لوحده من دون الأصابع الأخرى إشارة منه على الوحدانية. والمراد بالابتهال عندما يمد يديه تلقاء وجهه إلى القبلة أو مدّ يديه وذراعيه إلى السماء أو رفع يديه وتجاوزهما حدّ رأسه إنه نوع من أنواع العبودية والاحتقار والذلة والصغار، كالفريق الرافع يديه، الحاسر عن ذراعيه، المتشبث بأذيال رحمته والمتعلق بذوائب رأفته التي كانت سبب نجاة الهالكين وإغاثة المكروبين والتي وسعت العالمين.

وهذا مقام جليل لا يدّعيه العبد إلا عند العبرة وتزاحم الأنين والزفرة ووقوفه موقف العبد الذليل واشتغاله بخالقه الجليل عن طلب الآمال.

والمراد برفع يديه على منكبيه عند الاستكانة أنه كالعبد الجاني إذا حُمِل إلى مولاه وقد أوثقه قيد هواه، وقد تصفّد بالأثقال وناجى بلسان الحال: هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرأتي عليك.

الرابع: خفض الصوت

إن خفض الصوت بين المخافتة والجهر من آداب الدعاء أيضاً لما روي أنّ الناس لما قدموا مع رسول اللهﷺ ودنوا من المدينة كبّروا ورفعوا أصواتهم فقالﷺ:

«يا أيها الناس إنّ الذي تدعون ليس بأصمّ ولا غائب، إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم»[1].

وقال الله تعالى في كتابه العزيز:

«﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[2].

(١) الترمذي: ج ١٣، ص ١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

وقد أثنى الله عز وجل على نبيّه زكريا حيث قال:

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[1].

الخامس: الإسرار بالدعاء

ومن آداب الدعاء أيضاً الإسرار بالدعاء لبعده عن الرياء، ولقوله تعالى:

«﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2].

ولقول الإمام الرضا عليه السلام:

«دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية»[3].

وفي رواية أخرى:

«دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها»[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إن ربّك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يصبح في أرض قفر فيؤذّن ويقيم ثم يصلّي فيقول ربك عز وجل للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلي لا يراه أحدٌ غيري، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم، ورجل قام في الليل يصلّي وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد لي، ورجل في زحف فيفرّ أصحابه وثبت هو يقاتل حتى قتل»[5].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المستدرك: ج ١، ص ١٣.

السادس: عدم تكلف السجع.

لقول الرسول الأكرمﷺ:

«إياكم والسجع في الدعاء، حسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل»[1].

وقيل إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك.

والسجع هو التكلف بالكلام، وهو لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول اللهﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلّفة كقولهﷺ:

«اسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد»[2].

لذا من الأفضل أن يقتصر الداعي على المأثور من الدعوات، أو يلتمس بلسان التضرع من غير سجع ولا تكلّف، فالتضرع هو المحبوب عند الله.

السابع: أن لا يسأل حراماً ولا يتجاوز حدّاً

من آداب الدعاء أيضاً وشروطه أن لا يسأل الإنسان حراماً ولا ما يتضمن قلّة الحياء وإساءة الأدب. وأن لا يتجاوز الحدّ في دعائه كأن يطلب منازل الأنبياء. قال أمير المؤمنينؑ:

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ١، ص ٥٢٢.

(٢) أخرجه الترمذي: ج ١٢، ص ٣٠٣.

«يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحلّ»[1].

وقال عليه السلام أيضاً:

«من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان»[2].

فالأولى أن لا يجاوز الداعي الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، فليس كل واحد يحسن الدعاء. ولذلك ورد في الخبر أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة: تمنوا فلا يدرون كيف يتمنّون حتى يتعلّموا من العلماء.

الثامن: التضرّع والخشوع والرهبة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[3].

وقال النبي صلى الله عليه وآله:

«إذا أحبّ الله تعالى عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرّعه»[4].

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام:

«يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وعفّر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يديّ في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل»[5].

وإلى عيسى قال عز وجل:

«يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث،

---

(١) عدّة الداعي: ص ١١٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٤) أخرجه البيهقي في الشعب.
(٥) الكافي: ج ٨، ص ٤٤.

يا عيسى أذلّ لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميّتاً واسمعني منك صوتاً حزيناً»[1].

التاسع: الجزم واليقين بالإجابة

فمن آداب الدعاء أيضاً أن يجزم الإنسان بالدعاء ويوقن بالإجابة.

فقد قال النبي ﷺ:

«لا يقل أحدكم إدا دعا اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»[2].

وقال ﷺ:

«إذا دعا أحدكم فليعظّم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء»[3].

وقال ﷺ:

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله سبحانه لا يستجيب دعاء من قلب غافل»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا دعوت فظنّ أن حاجتك بالباب»[5].

وعنه عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج ٨، ص ١٣٨.
(٢) البخاري: ج ٨، ص ٩٢.
(٣) أخرجه مسلم: ج ٨، ص ٦٤.
(٤) الترمذي: ج ١٣، ص ٢٢.
(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٣، ح ١.

«إنّ الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«إذا دعوت الله فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«لما استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسقي الناس حتى قالوا: إنه الغرق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بيده (أي أشار) وردّها اللهم حوالينا ولا علينا، قال: فتفرّق السحاب، فقالوا: يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت لنا فسقينا قال: إني دعوت وليس لي في ذلك نيّة ثم دعوت ولي في ذلك نيّة»[3].

العاشر: الإلحاح

من آداب الدعاء الإلحاح في الدعاء وتكراره ثلاثاً، وينبغي على الداعي أن لا يستبطىء الإجابة لقوله صلى الله عليه وآله:

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجّل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، فإذا دعوت الله فسل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً»[4].

وقال صلى الله عليه وآله:

«إذا سأل أحدكم ربّه مسألة فتعرّف الإجابة فليقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عنه من ذلك

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٧٣.

(٢) المصدر السابق: ح ٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٤، ح ٥.

(٤) البخاري: ج ٨، ص ٩٢.

فليقل: الحمد لله على كل حال»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«واللّه لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلا قضاها له»[2].

وعن الإمام الصاق عليه السلام قال:

«إن العبد إذا دعا لم يزل الله في حاجته ما لم يستعجل»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«إن العبد إذا عجّل فقام لحاجته يقول الله: أما يعلم عبدي أني أنا الله الذي أقضي الحوائج»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«إنّ الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه، إن الله يحبّ أن يُسأل ويطلب ما عنده»[5].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عبداً طلب من الله تعالى حاجة فألح في الدعاء أستجيب له أو لم يستجب وتلا هذه الآية: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾»[6].

---

(١) الحاكم في المستدرك: ج ١، ص ٤٩٩.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٥، ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٤، ح ٧.

(٤) المصدر السابق: ح ٢.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٥، ح ٤.

(٦) المصدر السابق: ح ٦.

وعن النبي ﷺ قال:

«إن الله يحب السائل اللّحوح»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ العبد ليدعو فيقول الله تعالى للملكين: قد استجيب له، ولكن احبسوه بحاجته فإني أحبّ أن أسمع صوته، وإنّ العبد ليدعو فيقول تبارك وتعالى: عجّلوا له حاجته فإني أبغض صوته»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء، قلت له: كيف يستعجل؟ قال: يقول قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«إن المؤمن ليدعو الله في حاجة يقول الله عز وجل: (أخروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه) فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: (عبدي دعوتني فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا)»[4].

الحادي عشر: افتتاح الدعاء بذكر الله

من الآداب أيضاً أن يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) عدّة الداعي.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٠، ح ٨.

(٤) المصدر السابق: ح ٩.

«إياكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربه شيئاً من حوائج الدنيا حتى يبدأ بالثناء على الله عز وجل والمدحة له والصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«إن في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام؛ أن المسألة بعد المدحة فإذا دعوت الله فمجّده، قال: قلت: كيف نمجّده؟ قال: تقول: يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«إنما هي المدحة والثناء، ثم الإقرار بالذنب، ثم المسألة، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه وليمدحه فإن الرجل منكم إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، وإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه وأثنوا عليه، تقول: «يا أجود من أعطى، ويا خير من سئل، ويا أرحم من استرحم، يا واحد يا أحد، يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً يا من يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويقضي ما أحبّ، يا من يحول بين المرء

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٤.

(٣) المصدر السابق.

وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء، يا سميع يا بصير». وأكثر من أسماء الله عز وجل فإن أسماء الله كثيرة وصلّ على محمد وآل محمد وقل: «اللهم أوسع عليّ من رزقك الحلال ما اكفّ به وجهي وأؤدي به عن أمانتي وأصل به رحمي ويكون لي عوناً على الحجّ والعمرة»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّي على محمد وآل محمد»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله رفع الدعاء»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من كانت له إلى الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه»[4].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٩٤.

الثاني عشر: التوبة وردّ المظالم

من شروط قبول الدعاء الإقبال على الله بكنه الهمة والتوبة وردّ المظالم. يروى عن كعب الأحبار أنه:

«أصاب الناس قحط شديد على عهد النبي موسى عليه السلام، فخرج موسى ببني إسرائيل ليستسقي لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا. فأوحى الله تعالى إلى موسى: أني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله سبحانه إليه؛ يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً؟ فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله عليهم الغيث».

وروي أيضاً:

«إن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكذلك كانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرعون فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم لو مشيتم إليّ بأقدامكم حتى يحفى ركبكم وتبلغ أيديكم أعنان السماء وتكلّ ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتى تردّوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا فمطروا من يومهم».

وروي أيضاً:

«إنه أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن أخبرهم إنكم تخرجون إليّ بأبدان نجسة، وترفعون إليّ أكفّاً قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتدّ غضبي عليكم

ولن تزدادوا مني إلا بعداً».

وروي عن أهل البيت عليهم السلام:

«إنّ فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام: يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم، أبي تغترّون أم عليّ تجترئون؟ تطيّبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنكم أقوام ميّتون، يا عيسى قل لهم: قلّموا أظفاركم من كسب الحرام وأصموا أسماعكم من ذكر الخنى واقبلوا عليّ بقلوبكم فإني لست أريد صوركم، يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإني آليت أن أجيب من دعاني وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً لهم حتى يتفرّقوا»[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«أوحى الله إليّ أن يا أخا المرسلين ويا أخا المنذرين أنذر قومك: لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلّي بين يديّ حتى يردّ تلك المظلمة، فأكون سمعه الذي يسمع به، وأكون بصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«أوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لبني إسرائيل: لا تدخلوا بيتاً

---

(١) عدّة الداعي: الباب الثالث ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق.

من بيوتي إلا بأبصار خاشعة وقلوب طاهرة وأيد نقيّة، وأخبرهم أني لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي لديهم مظلمة»[1].

وفي الحديث القدسي:

«فمنك الدعاء وعليّ الإجابة، فلا تُحجب عني دعوة إلا دعوة آكل الحرام».

وقال النبي ﷺ لمن قال له: أحبّ أن يستجاب دعائي:

«طهّر مأكلك ولا يدخل بطنك الحرام»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من سرّه أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه وكسبه»[3].

وقال النبي ﷺ:

«لو صليتم حتى تكونوا كالأوتاد وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع حاجز»[4].

الثالث عشر: تسمية الحاجة

روي عن الإمام الصادق أنه قال:

«إن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنه يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج»[5].

---

(١) عدة الداعي: الباب الثالث ص١٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٦.

وروي أنه مكتوب في التوراة:

«يا موسى إني لست بغافل عن خلقي ولكن أحب أن يسمع ملائكتي ضجيج الدعاء من عبادي وترى حفظتي تقرّب بني آدم إليّ بما أنا مقوّيهم عليه ومسبّبه لهم».

الرابع عشر: التعميم في الدعاء

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دعا أحدكم فليعمّم فإنه أوجب للدعاء»[1].

الخامس عشر: الاجتماع في الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلا استجاب لهم، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرات إلا استجاب الله عز وجل لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة يستجيب الله العزيز الجبار له»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«ما اجتمع أربعة رهط قطّ على أمر واحد فدعوا إلا تفرّقوا عن إجابة»[4].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧.

(٤) المصدر السابق.

وعنه عليه السلام قال:

«كان أبي إذا حزنه أمرٌ جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمّنوا»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«الدّاعي والمؤمّن شريكان في الأجر»[2].

السادس عشر: البكاء

البكاء سيد آداب الدعاء وذروة سنامها:

أولاً: لدلالته على رقّة القلب الذي هو من علامات الإخلاص الذي به تحصل الإجابة. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا اقشعرّ جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك»[3].

أما جمود العين فمن قساوة القلب، وهو يؤذن بالبعد عن الله سبحانه. أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يقول:

«يا موسى لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، وقاسي القلب مني بعيد»[4].

وقاسي القلب مردود دعاؤه لقوله عليه السلام:

«لا يقبل الله دعاء بظهر قلب قاس»[5].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٨.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٥.

ثانياً: لما في البكاء من الانقطاع إلى الله وزيادة الخشوع. قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فإن الله تعالى يحبّ كل قلب حزين، وإنه لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللّبن إلى الضرع، وإنه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مؤمن أبداً، وإذا أبغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضحك وإن الضحك يميت القلب، والله لا يحبّ الفرحين»[1].

ثالثاً: لموافقته أمر الحق سبحانه في وصاياه لأنبيائه عليهم السلام حيث يقول لعيسى عليه السلام:

«يا عيسى هب لي من عينيك الدموع ومن قلبك الخشية. . .»[2].

ويقول لموسى عليه السلام:

«وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل - إلى أن قال - وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه»[3].

رابعاً: لما فيه من الخصوصيات والفضائل التي لا توجد في غيره من أصناف الطاعات.

وإن لم يقدر الداعي على البكاء فليتباك تعبداً بقول الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول:

---

(١) الديلمي في الإرشاد: باب الحزن وباب البكاء من خشية الله.

(٢) المستدرك: ج ٢، ص ٢٩٤.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ٤٢.

«وإن لم يكن بك بكاء فتباك»[1].

وسأل أحدهم أبا عبد اللّه الصادقعليه السلام:

«أتباكى على الدعاء وليس بي بكاء؟ قال: نعم ولو مثل رأس الذباب»[2].

وقالعليه السلام لأبي بصير:

«إن خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها فابدأ بالله فمجّده واثن عليه كما هو أهله، وصلِّ على النبي، وتباك ولو مثل رأس الذباب، إن أبي كان يقول: أقرب ما يكون العبد من الرب وهو ساجد يبكي»[3].

وعنهعليه السلام أيضاً قال:

«إن لم يجئك البكاء فتباك فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخ بخ»[4].

السابع عشر: الإقبال بالقلب

لأن من لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه، قال الإمام الصادقعليه السلام:

«من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فإنّ الله ينزّل العبد مثل ما ينزّل العبد الله من نفسه»[5].

وقال أمير المؤمنينعليه السلام:

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الحاكم من المستدرك: ج ١، ص ٤٩٥.

«لا يقبل الله دعاء قلب لاه»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا دعوت الله فأقبل بقلبك»[2].

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام:

«لا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فإنك متى تدعني كذلك أجبك»[3].

الثامن عشر: الدعاء في الرخاء قبل وقت البلاء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ:

«ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهنّ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الدعاء في الرخاء ليستخرج الحوائج في البلاء»[5].

وعنه عليه السلام قال:

«من تقدم في الدعاء أستجيب له إذا نزل به البلاء وقيل: صوت معروف ولم تحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة:

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤١.

(٣) عدة الداعي: ١٢٧.

(٤) رواه الطبرسي في المكارم: ص ٥٣٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٢.

إنّ ذا الصوت لا نعرفه»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«كان جدي يقول: تقدّموا في الدعاء فإن العبد إذا كان دعّاءً فنزل به البلاء فدعا قيل: صوت معروف، وإذا لم يكن دعّاء فنزل به بلاء فدعا قيل: أين كنت قبل اليوم»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: الدعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«من تخوّف بلاء يصيبه فيقدّم فيه بالدعاء لم يره الله عز وجل ذلك البلاء أبداً»[4].

التاسع العشر: الدعاء للأخوان

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من قدّم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له»[5].

وروي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام:

«يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنّى لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك»[6].

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٢.
(٥) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٩.
(٦) عدّة الداعي: ص ١٢٨.

وقال رسول الله ﷺ:

«ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«أوشك دعوة وأسرع إجابة دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«أسرع الدعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكّل به: آمين ولك مثلاه»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا ردّ الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أوّل الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة، وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا ربّ هذا الذي كان يدعو لنا فشفّعنا فيه فيشفّعهم الله فيه فينجو»[5].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

العشرون: الإتكال على الله وحده

من آداب الدعاء أن لا يعتمد الداعي في حوائجه على غير الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا [من] عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه»[2].

وفيما وعظ الله به عيسىعليه السلام:

«يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة ولا تدعني إلا متضرّعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فإنك متى تدعني كذلك أجبك»[3].

وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه:

«وعزتي وجلالي لأقطعنّ أمل كل آمل أمّل غيري بالإياس ولأكسونّه ثوب المذلة في الناس، ولأبعدنّه من فرجي وفضلي أيأمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي ويرجو سواي وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، ألم تعلموا أنّ من دهمه نائبة فلم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه يأمله معرضاً عني وقد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني فأعرض عني ولم

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٤٨، ح ٢.

(٣) عدّة الداعي.

يسألني وسأل في نائبته غيري وأنا الله أبتدي بالعطية قبل المسألة، أفأُسأل فلا أجود كلاّ، أليس الجود والكرم لي، أليس الدنيا والآخرة بيدي فلو أنّ أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعاً وأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[1].

وعن النبي ﷺ قال:

«قال الله عز وجل: ما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه فإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن استغفرني غفرت له»[2].

وصية الإمام الصادق عليه السلام:

قال الإمام الصادق في آداب الدعاء:

«إحفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو، وحقّق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما كمن فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظنّ أن فيه نجاتك، قال الله عز وجل: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[3].

وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكلّ منك

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١.

للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأمور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة، فإنه يعلم السرّ وأخفى، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف ذلك، قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر.

وأعلم أنه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء لكنّا إذا أخلصنا الدعاء تفضّل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء. سئل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم، قال: «كل اسم من أسماء الله أعظم».

وفرّغ قلبك عن كل من سواه وادعه بأيّ اسم شئت، وليس في الحقيقة لله اسم دون اسم، بل هو الله الواحد القهار. وقال النبي ﷺ: «إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه». فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاث: إما بأن يتعجّل لك بما سألت، أو أن يدّخر لك ما هو أعظم منه، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لهلكت، قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1].

وقال عليه السلام في حديث آخر:

«لقد دعوت الله مرّة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجلّ مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الأبد، ولكن لا يفعل ذلك إلا العالمون المحبون العارفون صفوة الله وخواصه»[2].

---

(١) مصباح الشريعة: الباب التاسع عشر.

(٢) المصدر السابق.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

«﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾»[1].

وروي أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال:

«جاءني جبرئيل فقال: يقول الله تعالى: أما ترضى يا محمد أن لا يصلّي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلّم عليك أحدٌ من أمتك إلا سلمت عليه عشراً»[2].

وقال النبي ﷺ:

«من صلّى عليّ صلَّت عليه الملائكة ما صلّى عليّ، فليقلل عبد عن ذلك أو ليكثر»[3].

وقال ﷺ:

«إنّ أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) أخرجه الدارمي: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة: رقم ٩٠٧.

(٤) الدر المنثور: ج ٥، ص ٢١٨.

وقال ﷺ:

«من صلّى عليّ من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات»[1].

وقال ﷺ:

«من قال حين يسمع الأذان والإقامة: (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة) حلّت له شفاعتي»[2].

وقال ﷺ:

«من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك الكتاب»[3].

وقال ﷺ:

«إنّ في الأرض ملائكة سياحين يبلّغوني عن أمتي السلام»[4].

وقال ﷺ:

«ليس أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

---

(١) مجمع الزوائد: ج ١٠، ص ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري: ج ١، ص ١٥٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط.

(٤) الدارمي: ج ٢، ص ٣١٧.

(٥) أبو داود: ج ١، ص ٤٧٠.

«إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة عليه فإنه من صلّى على النبي ﷺ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برىء الله منه ورسوله وأهل بيته»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقلّ ومن شاء فليكثر»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«من صلّى على محمد وآل محمد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة مرّة، ومن صلّى على محمد وآل محمد مائة مرّة صلّى الله عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله عز

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٢، ح ٦.
(٢) المصدر السابق: ح ٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٩٢، ح ٨.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٩٢، ح ١٣.

وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾»[1].

وعن أحدهما عليه السلام قال:

«ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»[2].

وعن عبد السلام بن نعيم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: أما إنه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به»[3].

وعن عبيد الله بن عبد الله الدّهقان قال:

«دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾؟ قلت: كلما ذكر اسم ربّه قام فصلّى، فقال لي: لقد كلّف الله هذا شططاً، فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟ فقال: كلما ذكر اسم ربّه صلّى على محمد وآله»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبي في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنّة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ذُكرت عنده فلم

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٢، ح ١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩٤، ح ١٥.

(٣) المصدر السابق: ح ١٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٩٤، ح ١٨. والآية ١٥ من سورة الأعلى.

يصلِّ عليّ فدخل النار فأبعده الله؛ وقال ﷺ: من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطّىء به طريق الجنة»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت وهو يقول: اللّهم صلّ على محمد، فقال له أبي عليه السلام: لا تبترها، لا تظلمنا حقّنا، قلّ: اللهم صلّ على محمد وأهل بيته»[2].

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٥ ح ١٩.

(٢) المصدر السابق: ح ٢١.

فضيلة الاستغفار

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1].

وقال عز وجل في آية أخرى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[4].

وعن النبي الأكرمﷺ قال:

«من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب»[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٤) سورة النصر، الآية: ٣.

(٥) أخرجه ابن ماجة: رقم ٣٨١٩.

وقال ﷺ:

«إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرّة»[1].

وقال ﷺ:

«من قال حين يأوي إلى فراشه: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم» ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا»[2].

وقال ﷺ:

«إذا أذنب العبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي، فيقول الله تعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب، عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[3].

وقال ﷺ:

«ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة»[4].

وقال ﷺ:

«من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود: ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي: ج ١٣، ص ٨٠.

(٣) أخرجه ابن السنى في عمل اليوم والليلة: ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٢٧.

وقال ﷺ:

«يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: خير الدعاء الاستغفار»[2].

وقال النبي ﷺ:

«إن للقلوب صداءً كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ»[4].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر، والمستغفر من ذنب فيفعله كالمستهزىء بربه»[5].

وقال عليه السلام:

«كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مجلس وإنْ خفّ حتى يستغفر الله خمساً وعشرين مرّة»[6].

---

(١) أخرجه ابن ماجة: رقم ٤٢٥٧.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٤.
(٣) مجمع الزوائد: ج ١٠، ص ٢٠٧.
(٤) الكافي: ج ٢، باب الاستغفار ص ٥٠٤.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

وعنه عليه السلام قال:

«كان صلى الله عليه وآله يستغفر غداة كل يوم سبعين مرّة ويتوب إلى الله سبعين مرّة قال: قلت: وكيف كان يقول؟ كان يقول: استغفر الله، استغفر الله ـ سبعين مرّة ـ ويقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله ـ سبعين مرّة ـ»[(١)].

وعنه عليه السلام قال:

«الاستغفار وقول: «لا إله إلا الله» خير العبادة، قال الله العزيز الجبار: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾»[(٢)].

وعنه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال بعد العصر في كل يوم مرّة واحدة: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم، ذا الجلال والإكرام، وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستجير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً» أمر الله الملكين بتخريق صحيفة السيئات كائناً ما كانت»[(٣)].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

«العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هو؟ قال: الاستغفار»[(٤)].

---

(١) الكافي: ج ٢، باب الاستغفار ص ٥٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عدّة الداعي: ص ١٩٥.

(٤) أمالي الشيخ: ص ٥٤.

الدعاء والقضاء الإلّهي

قد يسأل الإنسان أنه ما فائدة الدعاء والقضاء الإلّهي لا مردّ له! والجواب هو أن نعلم أنه من القضاء أيضاً ردّ البلاء بالدعاء. فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لردّ السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض. فكما أن الترس يدفع السهم فكذلك هو حال الدعاء مع البلاء.

فليس من شرط الاعتراف بقضاء الله أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]. وأن لا تسقى الأرض بعد بثّ البذر ـ بحجة أنه إن سبق القضاء بالنبت نبت!!

بل إن ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر، كما أن ترتّب تفصيل المسببات على تفصيل الأسباب على التدريج هو القدر، الذي إن كان قدّر خيراً فهو إنما قدّر بسبب، وإن كان قدّر شراً فإنه بسبب أيضاً.

فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته.

ثم إن في الدعاء فائدة عظيمة جداً وهي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال النبي ﷺ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٠.

«الدعاء مخّ العبادة»[1].

وقلوب الخلق لا تنصرف إلى ذكر الله إلا عند الحاجة أو نزول البلاء.

فالإنسان إذا مسّه الشر فذو دعاء عريض. فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله بالتضرع والاستكانة. ولذلك صار البلاء موكّلاً بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل. فالدعاء يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله ويمنع من نسيانه. أما الغناء فيسبب البطر في غالب الأحيان والإنسان كما يقول القرآن الكريم ليطغى أن رآه استغنى.

---

(١) الترمذي: ج ١٢، ص ٢٦٦.

بعض الأدعية المأثورة

إذا أصبح أو أمسى:

عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات: «اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا ربّ حتى ترضى وبعد الرضا». فإنك إذا قلت ذلك كنت قد أديت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«اللهم لك الحمد أحمدك وأستعينك وأنت ربي وأنا عبدك، أصبحت على عهدك ووعدك، وأومن بوعدك وأوفي بعهدك ما استطعت، ولا حول ولا قوّة إلا بالله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أصبحت على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وملة إبراهيم ودين محمدصلى الله عليه وآله على ذلك أحيى وأموت إن شاء الله. أحيني ما أحييتني وأمتني

(١) الكافي: ج ٢، ص ٩٩.

ما أمتّني على ذلك، وابعثني إذا بعثتني على ذلك، أبتغي بذلك رضوانك واتّباع سبيلك، إليك ألجأت ظهري وإليك فوّضت أمري، آل محمد أئمتي ليس لي أئمة غيرهم، بهم أأتمّ وإياهم أتولى وبهم أقتدي، اللهم اجعلهم أوليائي في الدنيا والآخرة، واجعلني أوالي أولياءهم وأعادي أعداءهم في الدنيا والآخرة وألحقني بالصالحين وآبائي معهم»[1].

وإذا سمعت أذان المغرب فقل:

«اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي».

وعنه عليه السلام قال:

«ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم عليه السلام حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح يقول: «اللّهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضّني بما قسمت لي»»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«كان أبي عليه السلام إذا أصبح يقول: «بسم الله وبالله، وإلى الله وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم إليك أسلمت نفسي وإليك فوّضت أمري، وعليك توكلت يا رب العالمين. اللهم احفظني بحفظ الإيمان من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي، لا إله إلا أنت، لا حول ولا قوّة إلا بالله نسأل الله العفو والعافية من كل سوء وشرّ ما في والآخرة.

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٢٩، ح ٢١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٢٤، ح ١٠.

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن ضغطة القبر ومن ضيق القبر، وأعوذ بك من سخطك ومن سطوتك في الليل والنهار.

اللهم ربّ المشعر الحرام وربّ البلد الحرام وربّ الحلّ والإحرام أبلغ محمداً وآل محمد عني السلام. اللهم إني أعوذ بدرعك الحصينة، وأعو بجمعك أن تميتني غرقاً أو حرقاً أو شَرقاً أو وقوداً أو صبراً أو مستماً أو تردياً في بئر أو أكيل سَبُع أو موت الفجأة أو بشيء من ميتات السوء[1]. ولكن أمتني على فراشي في طاعتك وطاعة رسولكﷺ مصيباً للحق غير مخطيء، أو في صفّ الذين نعتهم في كتابك ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

أعيذ نفس وولدي وما رزقني ربي بقل أعوذ برب الناس ـ حتى يختم السورة ـ ويقول: الحمد لله عدد ما خلق، والحمد مثل ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله مداد كلماته، والحمد لله زنة عرشه، والحمد لله رضى نفسه، ولا إله إلا الله الحليم الكريم، ولا إله إلا الله العليّ العظيم. سبحان الله رب السماوات ـ السبع ـ والأرضين وما بنيهما وربّ العرش العظيم.

اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، وأعوذ بك من الفقر والوقر، وأعوذ بك من سوء المنظر في الأهل والمال والولد، ويصلّي على محمد وآل محمد عشر مرات»[2].

---

(١) الشرق: الغصة. القود: القصاص. الصبر: أن يمسكه رجل أو يشد يداه ورجلاه حتى يضرب عنقه.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٢٥، ح ١٣.

عند الصلاة:

عن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«كان أمير المؤمنينعليه السلام يقول: من قال هذا القول كان مع محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم إذا قام من قبل أن يستفتح الصلاة: «اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآل محمد وأقدّمهم بين يدي صلاتي وأتقرب بهم إليك فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، أنت مننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بطاعتهم ومعرفتهم وولايتهم فإنها السعادة إختم لي بها إنك على كل شيء قدير».

ثم تصلي فإذا انصرفت قلت: «اللهم اجعلني مع محمد وآل محمد في كل عافية وبلاء واجعلني مع محمد وآل محمد في كل مثوى ومنقلب، اللهم اجعل محياي محياهم ومماتي مماتهم، واجعلني معهم في المواطن كلها ولا تفرّق بيني وبينهم إنك على كل شيء قدير»[١].

وقالعليه السلام أيضاً في دعاء آخر:

«قل: اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك واسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعاصيك وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تأخير ما عجّلت ولا تعجيل ما أخّرت، واجعل غناي في نفسي ومتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارثين مني وانصرني على من ظلمني وأرني فيه قدرتك يا ربّ وأقرّ بذلك عيني»[٢].

وعن الإمام الرضاعليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٤٤، ح ١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٧٧، ح ١.

«من قال في دبر صلاة الغداة لم يلتمس حاجة إلّا تيسّرت له وكفاه الله ما أهمّه: «بسم الله وصلى الله على محمد وآله، وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين، حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله، ما شاء الله لا ما شاء الناس، ما شاء الله وإن كره الناس حسبي الربّ من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي من كان منذ كنت لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم»[1].

دعاء جامع:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«تدعو بهذا الدعاء وهو جامع للدنيا والآخرة، تقول بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم أنت الله لا إلّه إلا أنت الحليم الكريم، وأنت الله لا إلّه إلا أنت العزيز الحكيم، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الواحد القهار، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الملك الجبار، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الرحيم الغفار، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الشديد المحال، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الكبير المتعال، وأنت الله لا إلّه إلا أنت السميع

(١) عدّة الداعي: الدعاء الخامس ص ١٩٧.

البصير، وأنت الله لا إلّه إلا أنت المنيع القدير، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الغفور الشكور، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الحميد المجيد، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الغني الحميد، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الغفور الودود، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الحنّان المنّان، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الحكيم الديّان، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الجواد الماجد، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الواحد الأحد، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الغائب الشاهد، وأنت الله لا إلّه إلا أنت الظاهر الباطن، وأنت الله لا إلّه إلا أنت بكل شيء عليم، تمّ نورك فهديت وبسطت يدك فأعطيت، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجهتك خير الجهات، وعطيّتك أفضل العطايا وأهنؤها، تطاع ربنا فتشكر وتُعصى ربنا فتغفر لمن شئت، تجيب المضطرّ وتكشف السوء وتقبل التوبة، وتعفو عن الذنوب، لا تجازى أياديك، ولا تحصى نعمك، ولا يبلغ مدحتك قول قائل.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم وروحهم وراحتهم وسرورهم وأذقني طعم فرجهم، وأهلك أعداءهم من الجنّ والإنس، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واجعلني من الذين صبروا وعلى ربهم يتوكّلون، وثبّتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وبارك لي في المحيا والممات والموقف والنشور والحساب والميزان وأهوال يوم القيامة، وسلّمني على الصراط، وأجزني عليه، وارزقني علماً نافعاً ويقيناً صادقاً وتُقًى وبرّاً وورعاً وخوفاً منك وفرقاً يبلغني منك زلفى لا

يباعدني عنك، واحببني ولا تبغضني وتولّني ولا تخذلني وأعطني من جميع خير الدنيا والآخرة ما علمت منه وما لم أعلم وأجرني من السوء كله بحذافيره ما علمت منه وما لم أعلم»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«أتى جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله يوماً فقال له: إن ربك يقول لك: إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حق عبادتي فارفع يديك إليّ وقل:

اللهم لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا جزاء لقائله إلا رضاك.

اللهم لك الحمد كلّه ولك المنّ كلّه، ولك الفخر كله، ولك البهاء كله، ولك النور كله، ولك العزّة كلها، ولك الجبروت كلها، ولك العظمة كلها، ولك الدنيا كلها، ولك الآخرة كلها، ولك الليل والنهار كلّه، ولك الخلق كله، بيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كلّه علانيته وسرّه.

اللهم لك الحمد حمداً أبداً، أنت حسن البلاء، جليل الثناء، سابغ النعماء، عدل القضاء، جزيل العطاء، حسن الآلاء، إله من في الأرض وإله من في السماء، اللهم لك الحمد في السبع الشداد، ولك الحمد في الأرض المهاد، ولك الحمد طاقة العباد، ولك الحمد سعة البلاد، ولك الحمد في الجبال الأوتاد، ولك الحمد في الليل إذا يغشى ولك الحمد في النهار إذا تجلّى، ولك الحمد في الآخرة

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٨٣، ح ١.

والأولى، ولك الحمد في المثاني والقرآن العظيم.

وسبحان الله وبحمده، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، سبحان الله وبحمده كل شيء هالك إلا وجهه، سبحانك ربنا وتعاليت وتباركت وتقدّست، خلقت كل شيء بقدرتك، وقهرت كل شيء بعزتك، وعلوت فوق كل شيء بارتفاعك، وغلبت كل شيء بقوتك، وابتدعت كل شيء بحكمتك وعلمك، وبعثت الرسل بكتبك، وهديت الصالحين بإذنك، وأيّدت المؤمنين بنصرك، وقهرت الخلق بسلطانك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لا نعبد غيرك ولا نسأل إلا إياك، ولا نرغب إلا إليك، أنت موضع شكوانا، ومنتهى رغبتنا وإلهنا ومليكنا»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام وكان يسميه الجامع:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آمنت بالله وبجميع رسله وبجميع ما أنزل به على جميع الرسل، وأنّ وعد الله حقّ ولقاءه حق وصدق الله وبلّغ المرسلون. والحمد لله رب العالمين، وسبحان الله كلما سبّح الله شيء، وكما يحب الله أن يسبّح، والحمد لله كلما حمد الله شيء وكما يحب الله أن يحمد، ولا إلّه إلا الله كلما هلّل الله شيء، وكما يحب الله أن يهلّل، والله أكبر كلما كبّر الله شيء وكما يحب الله أن يكبّر.

اللهم إني أسألك مفاتيح الخير وخواتيمه وسوابغه وفوائده

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٨١، ح ١٦.

وبركاته ما بلغ علمه علمي، وما قصر عن إحصائه حفظي، اللهم انهج لي أسباب معرفته وافتح لي أبوابه وغشّني بركات رحمتك ومنّ عليّ بعصمة عن الإزالة عن دينك وطهر قلبي من الشك، ولا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي واشغل قلبي بحفظ ما لا تقبل مني جهله، وذلّل لكل خير لساني، وطهر قلبي من الرياء ولا تجره في مفاصلي، واجعل عملي خالصاً لك. اللهم إني أعوذ بك من الشر وأنواع الفواحش كلها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم وما يريدني به السلطان العنيد مما أحطت بعلمه وأنت القادر على صرفه عني.

اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجنّ والإنس وزوابعهم (اسم شيطان) وبوائقهم ومكائدهم ومشاهد الفسقة من الجن والإنس. وأن أستزلّ عن ديني فتفسد عليّ آخرتي، وأن يكون ذلك ضرراً عليّ في معاشي أو يعرض بلاء يصيبني منهم لا قوّة لي به ولا صبر لي على احتماله، فلا تبتلني يا إلهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك، ويشغلني عن عبادتك.

أنت العاصم المانع الدافع الواقي من ذلك كله. أسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني، معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها رضوانك وأصير بها إلى دار الحيوان غداً. ولا ترزقني رزقاً يطغيني، ولا تبتلني بفقر أشقى به مضيقاً عليّ.

أعطني حظاً وافراً في آخرتي ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في

دنياي، ولا تجعل الدنيا عليّ سجناً ولا تجعل فراقها عليّ حزناً، أجرني من فتنتها، واجعل عملي فيها مقبولاً، وسعيي فيها مشكوراً.

اللهم ومن أرادني بسوء فأرده بمثله، ومن كادني فيها فكده، واصرف عني هم من أدخل عليّ همّه، وامكر بمن مكرني فإنك خير الماكرين. وافقأ عني عيون الكفرة الظلمة والطغاة الحسدة.

اللهم وانزل عليّ منك سكينة، وألبسني درعك الحصينة، واحفظني بسترك الواقي، وجلّلني عافيتك النافعة، وصدّق قولي وفعلي، وبارك لي في ولدي وأهلي ومالي. اللهم ما قدّمت وما أخّرت، وما أغفلت وما تعمّدت، وما توانيت وما أعلنت وما أسررت فاغفر لي يا أرحم الراحمين»[1].

وعن النبيﷺ:

«إنّ جبرئيلعليه السلام نزل عليه بهذا الدعاء من السماء، ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال: السلام عليك يا محمد، قال: وعليك السلام يا جبرئيل، فقال: إنّ الله عز وجل بعث إليك بهدية قال: وما تلك الهدية يا جبرئيل؟ قال: كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها، قال: وما هنَّ يا جبرائيل؟ قال:

«يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٨٧، ح ٢٦.

صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المنّ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا أسألك يا الله ألاّ تشوّه خلقي بالنار».

فقال رسول الله ﷺ لجبرئيل: ما ثواب هذه الكلمات؟ قال: هيهات هيهات انقطع العمل، لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على أن يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كل جزء جزءاً واحداً. فإذا قال العبد: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» ستره الله ورحمه في الدنيا وجمّله في الآخرة وستر الله عليه ألف ستر في الدنيا والآخرة. وإذا قال: «يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر» لم يحاسبه الله يوم القيامة ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور. وإذا قال: «يا عظيم العفو» غفر الله ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر، وإذا قال: «يا حسن التجاوز» تجاوز الله عنه حتى السرقة وشرب الخمر وأهاويل الدنيا وغير ذلك من الكبائر، وإذا قال: «يا واسع المغفرة» فتح الله عز وجل له سبعني باباً من الرحمة، فهو يخوض في رحمة الله عز وجل حتى يخرج من الدنيا، وإذا قال: «يا باسط اليدين بالرحمة» بسط الله يده عليه بالرحمة، وإذا قال: «يا صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى» أعطاه الله من الأجر وثواب كل مصاب وكل سالم، وكل مريض، وكل ضرير، وكل مسكين وكل فقير وكل صاحب مصيبة إلى يوم القيامة، وإذا قال: «يا كريم الصفح» أكرمه الله كرامة الأنبياء. وإذا قال: «يا عظيم المنّ» أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماءه. وإذا قال: «يا ربنا ويا سيدنا»

قال الله تبارك وتعالى: إشهدوا ملائكتي أني قد غفرت له وأعطيته من الأجر بعدد من خلقته في الجنّة والنار والسماوات السبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم وقطر الأمطار وأنواع الخلق والجبال والحصى والثرى وغير ذلك والعرش والكرسي.

وإذا قال: «يا مولانا» ملأ الله قلبه من الإيمان، وإذا قال: «يا غاية رغبتنا» أعطاه الله يوم القيامة رغبة الخلائق. وإذا قال: «أسألك يا الله، ألا تشوّه خلقي بالنار». قال الجبار جلّ جلاله: استعتقني عبدي من النار إشهدوا ملائكتي أني قد أعتقته من النار وأبويه وإخوته وأهله وولده وجيرانه وشفّعته في ألف رجل ممن وجبت له النار وأجرته من النار، فعلّمهنّ يا محمد المتقين، ولا تعلمهنّ المنافقين، فإنها دعوة مستجابة لقائلهن إن شاء الله، وهو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به»[1].

دعاء التوبة وطلب العافية:

وعن الإمام الصادقعليه السلام أنه دعا فقال:

«اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك وأعوذ بك من كل سوء أحاط به علمك، اللهم إني أسألك عافيتك في أموري كلها، وأعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»[2].

وعنهعليه السلام قال:

---

(١) عدّة الداعي: الفصل الآخر من فصول الكتاب.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٣.

«كان رسول الله ﷺ إذا احمرت الشمس على رأس قلّة الجبل هملت عيناه دموعاً ثم قال:

أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمست ذنوبي مستجيرة بمغفرتك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك، وأمسى ذلّي مستجيراً بعزّك، وأمسى فقري مستجيراً بغناك، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك الدائم الباقي، اللهم ألبسني عافيتك، وغشّني رحمتك، وجلّلني كرامتك، وقني شرّ خلقك من الجن والإنس يا الله يا رحمن يا رحيم»(١).

وعن الإمام الصادق أيضاً قال:

«إنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين كان لي مال ورثته ولم أنفق منه درهماً في طاعة الله، ثم اكتسبت مالاً فلم أنفق منه درهماً في طاعة الله فعلّمني دعاء يخلف عليّ ما مضى ويغفر لي ما عملت أو عملاً أعمله، قال عليه السلام: قلّ، قال: وأي شيء أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: قلّ كما أقول:

«يا نوري في كل ظلمة، ويا أنسي في كل وحشة، ويا رجائي في كل كربة، ويا ثقتي في كل شدّة ويا دليلي في الضلالة، أنت دليلي إذا انقطعت دلالة الأدلاء فإن دلالتك لا تنقطع ولا يضلّ من هديت، أنعمت عليّ فأسبغت، ورزقتني فوفّرت، وغذيتني فأحسنت غذائي وأعطيتني فأجزلت بلا استحقاق لذلك بفعل مني ولكن ابتداء منك لكرمك وجودك، فتقوّيت بكرمك على معصيتك، وتقوّيت برزقك على سخطك وأفنيت عمري فيما لا تحبّ، فلم

---

(١) عدّة الداعي: ص ١٩٧، الدعاء السابع.

تمنعك جرأتي عليك وركوبي لما نهيتني عنه ودخولي فيما حرّمت عليّ إن عُدتَ عليّ بفضلك ولم يمنعني حلمك عني وعودك علي بفضلك أن عدت في معاصيك، فأنت العوّاد بالفضل وأنا العوّاد بالمعاصي، فيا أكرم من أقرّ له بذنب وأعزّ من خضع له بالذلّ، لكرمك أقررت بذنبي ولعزك خضعت بذلي فما أنت صانع بي في كرمك وإقراري بذنبي وعزّك وخضوعي بذلّي إفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«يا نور يا قدوس، يا أوّل الأولين ويا آخر الآخرين، ويا رحمن يا رحيم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، واغفر لي الذنوب التي تحلّ النقم، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تعجّل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء، واغفر لي الذنوب التي تردّ الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء»[2].

أدعية النوم:

إذا أردت النوم فقل:

«بسم الله، اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجّهت وجهي

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٩٥، رقم ٣٥.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٨٩.

إليك، وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، توكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت» ثم سبح تسبيحة الزهراء. . كذا عن الإمام الباقر[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرات: الحمد لله الذي علا فقهر، والحمد لله الذي بطن فخبر، والحمد لله الذي ملك فقدر، والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الأحياء وهو على كل شيء قدير»[2].

وإذا فزعت من النوم فقل:

«أعوذ بكلمات الله من غضبه ومن عقابه، ومن شرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ـ عشر مرات ـ»[3].

وإذا استيقظت من نومك فقل:

«الحمد الله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور، الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي لأحمده وأعبده الحمد لله الذي بعثني من مرقدي هذا ولو شاء لجعله إلى يوم القيامة. الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً. الحمد لله الذي جعل الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. الحمد لله الذي لا يخبو منه النجوم ولا يكن منه النشور، ولا يخفى عليه ما في الصدور».

---

(١) الفقيه: باب ما يقول الرجل إذا أوى إلى فراشه ص ١٢٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٣٥، ح ١.

(٣) الحاكم في المستدرك: ج ١، ص ٥٤٨.

وإذا جلست بعد النوم فقل:

«حسبي الربُّ من العباد، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت، حسبي الله ونعم الوكيل».

وإذا قمت فقل:

«اللهم أعني على هول المطّلع ووسّع عليّ المضجع وارزقني خير ما قبل الموت وارزقني خير ما بعد الموت»[1].

أدعية الذهاب إلى المسجد:

إذا لبست نعلك فقل:

«اللهم صل على محمد وآل محمد، ووطىء قدميَّ في الدنيا والآخرة، وثبتهما على الصراط يوم تزل فيه الأقدام».

وإذا توجهت إلى المسجد فقل:

بسم الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ـ الآيات إلى قوله تعالى ـ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ﴾، فعن النبيﷺ قال:

من توضأ ثم خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته: بسم الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ هداه الله إلى الصواب والإيمان، وإذا قال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شرابها، وإذا قال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ جعل الله ذلك كفّارة لذنوبه، وإذا قال: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ أماته الله ميتة الشهداء، وأحياه حياة السعداء، وإذا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٣٨، ح ١٣.

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ غفر الله له خطاياه كلها وإن كان أكثر من زبد البحر، وإذا قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهب الله له حكماً وعلماً والحقه بصالح من مضى وصالح من بقي، وإذا قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ كتب الله له في ورقة بيضاء أن فلان ابن فلان من الصادقين، وإذا قال: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أعطاه الله منازل في جنّة النعيم، وإذا قال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ غفر الله لأبويه»[1].

وإذا أردت الدخول إلى المسجد فتعاهد نعليك أولاً وقدّم رجلك اليمنى وقل:

«بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وخير الأسماء كلها لله، توكلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله. اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وافتح لي أبواب رحمتك وتوبتك واغلق عني أبواب معصيتك، واجعلني من زوّارك وعمّار مساجدك وممن يناجيك في الليل والنهار، ومن الذين هم في صلاتهم خاشعون، وادحر عني الشيطان الرجيم وجنود إبليس أجمعين».

فإذا خلعت نعليك فاخلع اليسرى قبل اليمنى بعكس لبسها وقل:

«بسم الله الحمد لله الذي رزقني ما أُوقي به قدمي من الأذى، اللهم ثبتهما على صراطك ولا تزلّهما عن صراطك السوي».

وإذا نهضت من المصلى فانصرف عن يمينك وقل:

«سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون، وسلام على

(١) الدر المنثور: ج ٥، ص ٨٩، وسورة الشعراء: الآيات ٧٨ ـ ٨٦.

المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

وإذا خرجت من المسجد فقدم رجلك اليسرى وصلّ على النبيﷺ وقل:

«اللهم دعوتني فأجبت دعوتك وصلّيت مكتوبك وانتشرت في أرضك كما أمرتني فأسألك من فضلك العمل بطاعتك واجتناب معصيتك والكفاف من رزقك برحمتك».

وإذا طلعت الشمس فقل:

«أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين، وأعوذ بالله أن يحضرون، إن الله هو السميع العليم».

وإذا سمعت صوت الديك فقل:

«سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح، سبقت رحمتك غضبك لا إلّه إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

أدعية الدخول والخروج من المنزل:

إذا خرجت من المنزل فقل:

«بسم الله وبالله أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، وسلّم على أهلك إن كان في البيت أهل وإلا فقل بعد الشهادتين: السلام على محمد بن عبد الله خاتم النبيين، والسلام على الأئمة الهادين المهديين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وإذا خرجت من المنزل فقل:

«بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله».

وعن سيد العابدين عليه السلام قال:

«إن العبد إذا خرج من منزله عرض له الشيطان فإذا قال: «بسم الله» قال الملكان: كفيت، فإذا قال: «آمنت بالله» قالا له: هديت، فإذا قال: «توكلت على الله» قالا له: وقيت، فيتنحّى الشياطين فيقول بعضهم لبعض: كيف لنا بمن كفي وهدي ووقي»[1].

وإذا بنيت بيتاً فقل:

«اللهم ادحر عني وعن أهلي وولدي مردة الجنّ والشياطين وبارك فيه بنزولي».

أدعية تناول الطعام:

إذا جلست فقل:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على محمد وآله».

وإذا حضر الطعام فقل:

«اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعم الجنة».

وإذا مددت يدك إليه فقل:

«بسم الله والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسألك في أكلي وشربي السلامة من وعكه والقوّة على طاعتك، وذكرك وشكرك فيما بقّيته في بدني وأن تشجعني بقوّتها على عبادتك وأن تلهمني حسن التحرّز من معصيتك».

وإذا فرغت منه فقل:

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٤١، ح ٢.

«الحمد لله الذي أطعمنا في جائعين، وسقانا في ظمآنين، وكسانا في عارين وهدانا في ضالين، وحمّلنا في راجلين، وآوانا في ضاحين، واخدمنا في عافين، وفضّلنا على كثير من العالمين».

وإذا أردت شرب الماء فقل:

«الحمد لله منزل الماء من السماء، ومصرّف الأمر كيف يشاء، بسم الله خير الأسماء».

وإذا فرغت فقل:

«الحمد لله الذي سقاني ماء عذباً ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبي، وصلّ وسلم على الحسين عليه السلام والعن قاتليه».

أدعية السوق:

إذا دخلت السوق فقل:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة».

وإن كان عليك دين فقل:

«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمّن سواك».

وإذا أصابك خسران فقل:

«عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون».

وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل:

«اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت لا حول ولا قوّة إلا بالله».

وإذا اشتريت متاعاً فكبر ثلاثاً وقل:

«اللهم إني اشتريته ألتمس فيه خيرك فاجعل فيه خيراً، اللهم إني اشتريته التمس فيه رزقك فاجعل لي فيه رزقاً».

وإذا اشتريت دابة فقل بعد أن تأخذ بسنامها:

«اللهم أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشرّ ما جبلتها عليه».

وإذا قضيت الدين فقل للمقضي له:

«بارك الله في أهلك ومالك».

دعاء النظر إلى السماء:

إذا نظرت إلى السماء فقل:

«ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار، تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً».

وإذا رأيت الهلال فكبر الله ثلاثاً وقل:

«اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجلّلة والرزق الواسع ودفع الأسقام».

وإذا هبت الريح فقل:

«اللهم إني أسألك خير ما هاجت الرياح وخير ما فيها

وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، اللهم اجعلها علينا رحمة وعلى الكافرين عذاباً وصلى الله على محمد وآله»
وأكثر من التكبير.

وإذا سمعت صوت الرعد فقل:

«سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته».

وإذا رأيت الصواعق فقل:

«اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

وإذا أمطرت السماء فقل:

«اللهم سيباً هنيئاً وصيّباً نافعاً، اللهم اجعله سبب رحمتك ولا تجعله سبب عذابك».

عند وقوع البلاء:

إذا أصابتك مصيبة فقل:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني على مصيبتي واخلف لي خيراً منها».

وإذا بلغك وفاة أحد فقل:

«إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده».

وإذا أصابك مرض فقل:

«اللهم اشفني بشفائك، وداوني بدوائك وعافني من بلائك

فإني عبدك وابن عبدك».

وقل أيضاً:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وامسح على مكان العلّة.

وإذا أصابك كرب فقل:

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

وإذا أصابك غم أو حزن فقل:

﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وقل أيضاً:

«يا من يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اكفني ما أهمني».

وروي أن رجلاً شكا إلى الإمام الصادق الغمّ فقال عليه السلام:

«أكثر من أن تقول: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً».

وإذا خفت وسوسة أو حديث نفس فقل:

«اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، عدل في حكمك ماض في قضائك، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو أعطيته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل القرآن نور بصري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي، الله الله ربي لا أشرك به شيئاً».

وعن الرسول صلى الله عليه وآله قال:

«ما أصاب أحداً حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همّه وأبدل

مكانه فرجاً، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلّمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[1].

وإذا ضلّ عنك شيء فقل:

«يا من لا يخفى عليه مكتوم، ولا يشذّ عنه معلوم، ولا يغالبه منيع، ولا يطاوله رفيع أردد بقدرتك عليّ ما في قبضتك إنك أهل الخيرات».

وإذا نسيت شيئاً:

«فضع يدك على جبهتك وصلّ على محمد وآله وقل: اللهم إني أسألك يا مذكّر الخير والآمر به؛ ذكرني ما أنسانيه الشيطان».

وإذا لقيت سبعاً فقل:

«أعوذ برب دانيال والجبّ من شرّ كل أسد مستأسد».

وإذا غضبت فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم وصلّ على محمد وآله وقل:

«ويذهب غيظ قلوبهم، اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ـ لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم».

وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يدك على الذي تألّم منه جسدك وقل:

«(بسم الله) ثلاثاً وقل سبع مرات: (أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر)».

(١) مشكاة المصابيح: ص ٢١٦.

أدعية متفرّقة:

إذا تصدّقت فقل:

«ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم».

إذا نظرت في المرآة فقل:

«الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي وصوّرني فأحسن صورتي، الحمد لله الذي زان مني ماشان من غيري وأكرمني بالإسلام».

إذا تعممت أو تختمت فقل:

«اللهم سوّمني بسيماء الإيمان، وتوجني بتاج الكرامة، وقلّدني حبل الإسلام، ولا تخلع ربقة الإيمان من عنقي».

إذا لبست ثيابك فقل:

«الحمد لله الذي كساني ما يواري عورتي وأتجمّل به في الناس».

وإن كان ثوبك جديداً فزد على ذلك:

«اللهم اجعله ثوب يمن وتقوى وبركة، اللهم ارزقني فيه حسن عبادتك وعملاً بطاعتك وأداء شكر نعمتك».

إذا زرعت زرعاً فخذ قبضة من البذر بيدك واستقبل القبلة وقل:

«﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. ـ ثلاث مرات ـ ثم قل: لا بل الله الزارع لا فلان، وسمّ باسمك، ثم قل: اللهم صلّ على محمد وآل محمد واجعله حرثاً مباركاً وارزقنا فيه السلامة والعافية والسرور والغبطة والتمام واجعله حبّاً متراكباً ولا تحرمني خير ما ابتغي ولا

تفتني بما منعتني بحق محمد وآله الطيبين» ثم أبذر القبضة.

إذا قهقهت فقل:

«اللهم لا تمقتني».

وإذا عطست فقل:

«الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآل محمد».

وإذا ابتدأت أمراً فقل:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾.

وإذا رأيت استجابة دعائك فقل:

«الحمد لله الذي بعزّته وجلاله تتم الصالحات».

وإذا أبطأت فقل:

«الحمد لله على كل حال».

الأوراد
وإحياء الليل

مقدمة

إن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لا ليستقرّوا في مناكبها بل ليتخذوها منزلاً فيتزودون منها، محترزين من مصائدها. فالعمر يسير بهم سير السفينة براكبها، والناس في هذا العالم في سفر. فأول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة هذا السفر، فسنوه مراحله، وشهوره مراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكريم والنعيم المقيم، وخسرانه البعد من الله مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم.

فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى ربه زلفى متعرّض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى.

ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل تشمّر الموفقون عن ساق الجدّ، وودّعوا بالكامل ملاذ النفس، واغتنموا ما بقي من العمر، ورتبوا بحسب الأوقات وظائف الأوراد حرصاً منهم على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار، والسعي إلى دار القرار. حتى صار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيعها على العبادات.

فضيلة الأوراد وعددها

إن الناظرين بنور البصيرة علموا أن لا نجاة إلا بلقاء الله، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله عارفاً به. والمحبة والأنس لا تحصلان إلا بدوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه والمعرفة لا تحصل إلا بدوام التفكر فيه وفي صفاته وأفعاله، إذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله وصفاته.

ولن يتيسّر دوام الذكر والتفكر إلا بترك الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها بقدر الضرورة. وكل ذلك لا يتم إلا بالاستغراق في الليل والنهار بوظائف الأذكار والأفكار.

ولما كانت النفس قد جبلت على السأمة والملل لم تكن قادرة على الصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والتفكر. بل لو ردّت هذه النفس إلى نمط واحد لأظهرت الملل والاستثقال، لذا كان من ضرورة اللطف بهذه النفس أن تروّح بالتنقل من فن إلى فن، ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت، حتى يستغرق التفكر والذكر جميع الأوقات أو أكثرها.

وإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا وشهواتها، فإن قسّم العبد أوقاته بين تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة وبين العبادات، رجّح جنب الميل إلى الدنيا لموافقتها للطبع الإنساني.

فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة، ومن أراد أن تترجح كفّة حسناته ويثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر وقته. فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله دائماً منتظر. فعسى أن يغفر الله له بجوده وكرمه.

هذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة، أما إن لم تكن من أهل البصيرة فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ واقبس منه نور الإيمان، فقد قال تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه:

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾[1].

وقال عز وجل:

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾[2].

وقال عز وجل:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾[3].

وقال عزّ اسمه:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[4].

---

(١) سورة المزمل، الآيتان: ٧، ٨.
(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٣) سورة ق: الآيتان: ٣٩، ٤٠.
(٤) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[1].

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[2].

وقال عز وجل:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3].

ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم؟ فقال عز وجل:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقال عز اسمه:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5].

وقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾[6].

وقال تعالى:

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٤) الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾[١].

وقال عز اسمه:

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢].

وقال عز وجل:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[٣].

كل هذه الآيات تبين أن الطريق إلى الله يكون بمراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد، ولذلك قال النبي ﷺ:

«أحبُّ عباد الله إلى الله الذي يراعون الشمس والقمر والأظلّة لذكر الله»[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[٦] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾[٧]. فإن سير الشمس والقمر بحسبان وخلق الظلّ والنور والنجوم لم تكن لأجل أن يستعان بها على أمور الدنيا بل للتعرف على الأوقات ليقوم الإنسان فيشتغل فيها بالطاعات، ويدل عليه قوله تعالى:

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.
(٤) الحاكم في المستدرك: ج١ ص٥١.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٥.
(٦) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٥، ٤٦.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[1].

وقال عز وجل أيضاً:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

والأوراد على قسمين؛ أوراد للنهار وأوراد للّيل.

أوراد النهار: سبعة:

١ ـ ورد ما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس.

٢ ـ وردان ما بين طلوع الشمس إلى الزوال.

٣ ـ وردان ما بين الزوال إلى العصر.

٤ ـ وردان ما بين العصر إلى الغروب.

أوراد الليل: أربعة:

١ ـ وردان من المغرب إلى وقت النوم.

٢ ـ وردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الصبح.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

أوراد النهار

الورد الأول: ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس

وهو وقت شريف يدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال:

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾[١].

ومدحه له حيث قال:

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[٢].

وقال عز وجل أيضاً:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[٣].

وأيضاً إظهاره تعالى القدرة بقبض الظلّ فيه حيث قال:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝٤٦﴾.

وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧﴾ وبقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الفلق، الآية: ١.

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

وترتيب الأذكار في هذا القسم الأول من الأوراد على الشكل التالي:

١ ـ إذا انتبه من النوم ينبغي أن يبتدىء بذكر الله فيقول:

«الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور...».

إلى آخر ما ذكرناه في دعاء الاستيقاظ في فصل الدعاء.

٢ ـ يلبس ثوبه وهو ناوٍ به ستر عورته امتثالاً لأمر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة.

٣ ـ ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة ويدخل أولاً برجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها في فصل الدعاء عند الدخول والخروج.

٤ ـ ثم يستاك على السنة ويتوضّأ مراعياً لجميع السنة والأدعية.

٥ ـ وإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح، أي ركعتي السنة في منزله كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

٦ ـ ثم يتوجه إلى المسجد داعياً بدعاء الخروج إليه وعليه السكينة والوقار، فيدخل المسجد مقدماً رجله اليمنى داعياً بدعاء الدخول (كما ذكرناه في فصل الدعاء). ثم يطلب الصف الأول إن وجد متّسعاً ولا يتخطّى رقاب الناس ولا يزاحمهم. ثم إن لم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله صلاّهما، وإلا صلّى ركعتين تحية المسجد وجلس مشتغلاً بالذكر إلى أن تقام الصلاة. ولا ينبغي له أن يترك صلاة الجماعة بشكل عام وفي صلاتي الصبح والعشاء بشكل خاص فإن لها فيهما زيادة فضل.

٧ ـ ثم يصلي فريضة الصبح جماعة مراعياً آداب الصلاة الظاهرة

والباطنة، ثم يقعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله، والتفكر فيه.

٨ ـ أما ذكر الله تعالى فيكون على الشكل التالي:

ـ إذا فرغ من الصلاة يبدأ بثلاث تكبيرات رافعاً بها كفّيه حيال وجهه مستقبلاً بظهرهما وجهه وبباطنها القبلة وهذه التكبيرات هي أول التعقيب.

ـ ثم يقول:

«لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، لا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين، لا إله إلا الله وحده وحده، أنجز وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه. اللهم اهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك، وأنزل عليّ من بركاتك، سبحانك لا إله إلا أنت، اغفر لي ذنوبي كلها فإنه لا يغفر الذنوب كلها جميعاً إلا أنت. اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك وأعوذ بك من كل شرّ أحاط به علمك.

اللهم إني أسألك عافيتك في أموري كلها، وأعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن أهوال يوم القيامة، وأعوذ بوجهك الكريم، وسلطانك القديم، وعزّتك التي لا ترام، وقدرتك التي لا يمتنع منها شيء من شر الدنيا والآخرة ومن شرّ الأوجاع كلها، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد

لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً».

- ثم يسبّح بتسبيحة الزهراء عليها السلام، وهي من أفضل أذكار التعقيب.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر له ويبدأ بالتكبير»(١).

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«إنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه فإنه ما يلزمه عبدٌ فشقي»(٢).

وعنه عليه السلام قال:

«تسبيح فاطمة الزهراء في دبر كل صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم»(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ما من عبد عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام»(٤).

- ثم يقول عشر مرات - وهو مما يختص بتعقيب الصبح -:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، بيده الخير وهو على كل

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٤٢.

(٢) المصدر السابق: ج٣ ص٢٤٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

شيء قدير».

- ويقول عشر مرات وهو مختص أيضاً بتعقيب الصبح:

«سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

- ويقول مائة مرة:

«ما شاء الله كان، لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم».

- ويقول مائة مرة:

«أستغفر الله ربي وأتوب إليه».

- ويقول مائة مرّة:

«أستجير بالله من النار وأسأله الجنة».

- ويقول مائة مرّة:

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم».

- ويقول عشر مرات:

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، لم يتخذّ صاحبة ولا ولداً».

- ويقول ثلاثين مرّة:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وينبغي أن يعدّ الأذكار والتسبيحات بسبحة من التربة الحسينية، على صاحبها السلام. فعن صاحب الأمر عليه السلام:

«إنها أفضل شيء يسبّح به، وإن المسبّح بها ينسى التسبيح

ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح»[1].

ـ ويقول ـ وهو أيضاً مختص بتعقيب الصبح ـ:

«يا مقلب القلوب والأبصار صلّ على محمد وآله، وثبّت قلبي على دينك ودين نبيّك ﷺ ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحويل عافيتك، ومن فجأة نقمتك، ومن درك الشقاء، ومن شرّ ما سبق في الكتاب. اللهم إني أسألك بعزة ملكك وعظيم سلطانك، وبشدّة قوّتك على جميع خلقك أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا...».

ـ ويقول:

«أعيذ نفسي وأهلي ومالي وولدي وإخواني وما رزقني ربي وجميع من يعنيني أمره بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبربّ الفلق من شر ما خلق ـ إلى آخرها ـ وبرب الناس ملك الناس ـ إلى آخرها أيضاً ـ.

ـ ثم يقرأ الفاتحة وآية الكرسي إلى ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وآية شهد الله، وآية الملك، وآية السخرة، وآخر الكهف من ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾، وأوّل الصافات إلى ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾، والآيات الثلاث من آخرها، وثلاث آيات من الرحمن من عند ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ إلى ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾. والآيات الأربع الأخيرة من الحشر، ثم يقرأ سورة التوحيد اثنتي عشر مرّة.

---

(١) التهذيب: ج٢ ص٢٧.

- ثم يقول وهو باسط يديه:

«اللهم إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك وأسألك باسمك العظيم وسلطانك القديم يا واهب العطايا يا مطلق الأسارى يا فكّاك الرقاب من النار أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تعتق رقبتي من النار وأن تخرجني من الدنيا آمناً وتدخلني الجنة سالماً، وأن تجعل دعائي أوّله فلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً إنك أنت علام الغيوب».

- ثم يقول:

«الله إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وسكان سماواتك وأرضك وأنبياءك ورسلك والصالحين من عبادك وجميع خلقك فاشهد لي وكفى بك شهيداً، إني أشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك وأن محمداً ﷺ عبدك ورسولك، وأن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحل ما عدا وجهك الكريم فإنه أعز وأكرم وأجلّ وأعظم من أن يصف الواصفون كنه جلاله، أو تهتدي القلوب إلى كنه عظمته، يا من فاق مدح المادحين فخر مدحه، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده، وجلّ عن مقالة الناطقين تعظيم شأنه، صلّ على محمد وآل محمد وافعل بنا ما أنت أهله يا أهل التقوى وأهل المغفرة».

- ثم يقول:

«سبحان الله كلما سبح الله شيء وكما يحب الله أن يسبّح، وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، والحمد لله كلما حمد الله شيء وكما يحبّ الله أن يحمد وكما هو

أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، ولا إله إلا الله كلما هلّل الله شيء وكما يحبّ الله أن يهلّل وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، والله أكبر كلما كبّر الله شيء وكما يحب الله أن يكبّر وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر على كل نعمة أنعم بها عليّ وعلى كل أحد من خلقه ممن كان أو يكون إلى يوم القيامة. اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأسألك خير ما أرجو وخير ما لا أرجو وأعوذ بك من شرّ ما أحذر ومن شرّ ما لا أحذر».

ـ ثم يقول ـ وهو مما يدعا به في المساء أيضاً ـ:

«بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه سمٌّ ولا داء، بسم الله أصبحت وعلى الله توكلت، بسم الله على قلبي ونفسي، بسم الله على ديني وعقلي، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على عطاء ربي، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

الله الله ربي حقاً لا أشرك به شيئاً، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أعزّ وأجل مما أخاف وأحذر، عز جارك وجلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك، ولا إله غيرك. اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ كل سلطان شديد، ومن شرّ كل شيطان مريد، ومن شرّ كل جبار عنيد، ومن شرّ قضاء السوء ومن شرّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنك على صراط مستقيم، وأنت على كل شيء حفيظ. إنّ ولييّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا

هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين».

ـ ثم يقول ـ وهو مما يدعا به في المساء أيضاً ـ:

«أصبحت اللهم معتصماً بذمامك المنيع الذي لا يحاول ولا يطاول من شرّ كل غاشم وطارق من سائر ما خلقت من خلقك الصامت والناطق في جُنّة من كل مخوف بلباس سابغة، ولاء أهل بيت نبيّك محمد صلواتك عليه وعليهم محتجباً من كل قاصد لي بأذية بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقهم والتمسّك بحبلهم موقناً بأن الحق معهم وفيهم وبهم، أوالي من والوا وأجانب من جانبوا، فصلّ على محمد وآل محمد وأعذني اللهم بهم من شرّ ما أتّقيه، يا عظيم حجزت الأعادي عني ببديع السماوات والأرض، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون».

ـ ثم يأتي بأدعية الصباح التي ذكرناها في فصل الأذكار والدعوات وغير ذلك من الأدعية المروية عن أهل بيت العصمةعليهم السلام، بمقدار ما يقدر عليه ويراه موافقاً لحاله وأرق لقلبه وأخفّ على لسانه.

وما ذكرناه من التعقيب ههنا أخذناه من روايات عديدة، وليس مجتمعاً في رواية، فله إن شاء أن يقتصر على البعض إذا لم يتّسع وقته للكل. وإذا وجد من نفسه كلالاً فليقطعه ولا يكلفها ما لا طاقة لها به إذا لم يكن لها ميل وإقبال، فإن التوجه والإقبال روح العبادة والدعاء.

ويستحب أن يجلس في مصلاّه بعد الفراغ من صلاة الصبح وإن لم يكن مشتغلاً بالتعقيب، فقد روي عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال:

«من صلّى فجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس كان له ستراً من النار»[1].

٩ ـ أما التفكر في الله تعالى فيرجع إلى أمرين:

الأول: التفكر فيما ينفعه في علم المعاملة؛ بأن يحاسب نفسه فيما سبق منه من تقصير، وينصرف إلى أداء وظائف يومه، ويسعى إلى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويحضر في قلبه النيات الصالحة.

الثاني: التفكر فيما ينفعه في علم المكاشفة؛ بأن يفكر مرّة في نعم الله سبحانه وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة، لتزيد معرفته بها، ويكثر شكره عليها. وأخرى يتفكر في عقاب الله ونقمته لتزداد معرفته بقدرة الله تعالى واستغنائه، ويزداد خوفه منه. ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة للتفكر. والتفكر أشرف العبادات، إذ فيه ذكر لله تعالى بالإضافة إلى أمرين: هما زيادة المعرفة، إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف، والثاني: زيادة الحب، إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد عظمته، ولا تنكشف عظمة الله تعالى وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله.

إذاً فيحصل بالتفكر المعرفة ومن المعرفة يحصل التعظيم ومن التعظيم المحبة.

والذكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبة، ولكن المحبة التي سببها المعرفة تكون أثبت وأقوى وأعظم.

الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار

والمقصود بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وفيه وظيفتان:

---

(١) التهذيب: ج١ ص١٦٤.

الأولى: عمل الخيرات: من عيادة مريض، وتشييع جنازة ومعاونة على برّ وتقوى، وحضور مجلس علم وكل ما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها. وإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الذكر والتفكر والقراءة والصلوات.. وروي عنهم عليهم السلام التمسح بماء الورد، حيث قالوا:

«من مسح وجهه بماء الورد لم يصبه في ذلك اليوم بؤس ولا فقر»[1].

الثانية: التصدّق: فمما ينبغي أن يعمل به الذاكر في صدر النهار هو التصدّق بكل ما تيسّر وإن كان حقيراً، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بكّروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها»[2].

الورد الثالث: ما بين ضحوة النهار إلى الزوال

والوظيفة في هذا الوقت أمران بالإضافة لما ذكرناه في الورد الثاني وهما:

الأول: الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش. فإن كان تاجراً فينبغي أن يتّجر بصدق وأمانة، وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة، دون أن ينسى ذكر الله تعالى في جميع أعماله وأشغاله.

ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه، فإذا حصلت كفايته ليومه يرجع إلى بيت ربّه ليتزوّد لآخرته. فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتّع بها أدوم. وقلّ من يعرف القدر فيما لا بد منه، بل أكثر الناس يقدّرون بشكل خاطىء، فيظنون أن ما عنه بدٌّ أنه لا بد لهم منه، وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون ما

---

(١) رواه الطبرسي في المكارم: ص٤٧.

(٢) الكافي: ج٤ ص٦ ح٥.

لا يأكلون خوفاً من الفقر، والله تعالى يعدهم مغفرة منه وفضلاً، فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه.

الثاني: القيلولة؛ وهي سنّة والهدف منها هو أن يستعين الإنسان بها على قيام الليل، كما أن التسحّر سنة يستعان بها على صيام النهار.

وينبغي أن ينتبه قبل الزوال بقدر للاستعداد للصلاة والوضوء وحضور المسجد قبل أن يحين وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال. وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب بل اشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا. فالقلب المتفرّغ لخدمة ربّه عند إعراض العباد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى، ويصطفيه لقربه ومعرفته. وفضل ذلك كفضل إحياء الليل، فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل.

والمعنى الآخر؛ أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر.

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبتها

وفيه أربعة وظائف هي:

الأولى: أن يقول عند تحقق الزوال ما وصّى به الإمام الباقر محمد ابن مسلم حيث قال له:

«حافظ عليه كما تحافظ على عينيك وهو: سبحان الله ولا إله إلا الله والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً».

الثانية: يشرع بنافلة الزوال ويأتي في أولييها بالتكبيرات السبع

الافتتاحية مع أدعيتها ويقرأ فيها التوحيد والجحد ويسبح بعد كل ركعتين منها بتسبيح الزهراء عليها السلام. ثم يقول:

«اللهم إني ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي، وخذ إلى الخير بناصيتي، واجعل الإيمان منتهى رضاي، وبارك فيما قسمت لي وبلّغني برحمتك كل الذي أرجو منك، واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين وعهداً عندك».

الثالثة: يؤذن للظهر ثم يقيم ويقول بعد الإقامة:

«اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة بلّغ محمداً صلى الله عليه وآله الدرجة والوسيلة والفضل والفضيلة، بالله أستفتح وبالله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه، اللهم صلّ على محمد وآل محمد، واجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين».

الرابعة: ثم يشتغل بالفريضة جماعة، مراعياً لجميع الآداب الظاهرة والباطنة. حتى إذا فرغ منها أتى بتعقيبات الصلاة.

الورد الخامس: ما بين الفراغ من صلاة الظهر إلى العصر

وفيه ثلاثة وظائف:

الأولى: يصلي نوافل العصر.

الثانية: يستحب فيه العكوف في المسجد والاشتغال بالذكر والصلاة انتظاراً لصلاة العصر.

الثالثة: يكره النوم لمن نام قبل الزوال. فقد قيل إن ثلاثةً يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب، والأكل من غير جوع، ونوم النهار من غير سهر بالليل. فالحد من النوم أمر ضروري وينبغي الاعتدال فيه وحده الاعتدال في النوم ثماني ساعات في الليل والنهار جميعاً. فإن نام هذا

المقدار بالليل لا معنى للنوم بالنهار، وإن نقص منه مقداراً بالليل استوفاه بالنهار.

فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرين سنة إذا نام ثماني ساعات في اليوم. ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء البدن، فلربما أفضى النقصان فيه إلى اضطراب الروح، إلا لمن تعوّد السهر تدريجياً بعد طول تمرّن. وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال:

«نم نوم المتعبّدين ولا تنم نوم الغافلين، فإن المتعبدين من الأكياس ينامون استرواحاً، وأما الغافلون فينامون استبطاراً، قال النبيصلى الله عليه وآله: تنام عيني ولا ينام قلبي، وانوِ بنومك تخفيف مؤونتك على الملائكة، واعزل النفس عن شهواتها، واختبر بها نفسك معرفة بأنك عاجز ضعيف لا تقدر على شيء من حركاتك وسكونك إلا بحكم الله وتقديره، فإن النوم أخو الموت، فاستدلل بها على الموت الذي لا تجد السبيل إلى الانتباه فيه والرجوع إلى إصلاح ما فات عنك، ومن نام عن فريضة أو سنّة أو نافلة فاتته بسببها فذاك نوم الغافلين وسيرة الخاسرين وصاحبه مغبون، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض والسنن والواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود.

إني لا أعلم لأهل زماننا هذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم، لأن الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم وأخذوا شمال الطريق، والعبد إن اجتهد أن لا يتكلم كيف يمكنه أن لا يسمع إلا ما هو مانع له من ذلك. وإنّ النوم من إحدى تلك الآيات، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾. وإن في

كثرته آفات، وإن كان على سبيل ما ذكرناه.

وكثرة النوم تتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب تتولّد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكّر والخشوع. واجعل كل نومك آخر عهدك من الدنيا، واذكر الله بقلبك ولسانك، وخفّ اطلاعه على سرّك، واعتقد بقلبك متسعيناً به في القيام إلى الصلاة إذا انتبهت، فإن الشيطان يقول لك: نم فإن لك بعد ليلاً طويلاً، يريد تفويت وقت مناجاتك، واعرض حالك على ربّك، ولا تغفل عن الاستغفار بالأسحار فإن للقانتين فيه أشواقاً»[1].

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾[2].

فإذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات.

الورد السادس: دخول وقت صلاة العصر

إذا دخل وقت العصر دخل العبد في الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به إذ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾[3]. وفيه وظيفتان:

الأولى: وليس في هذا الورد صلاة غير أربع ركعات من نافلة العصر، أو اثنتين يصلّيها بين الأذان والإقامة، ثم يصلّي الفرض.

الثانية: يشتغل بالدعاء والذكر والتفكر والقراءة. والأفضل فيه تلاوة القرآن بتدبر وتفهم لأن القرآن يجمع فيه التفكر والدعاء والذكر.

---

(١) مصباح الشريعة: الباب ٤٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) سورة العصر، الآية: ١.

الورد السابع: عند الغروب

إذا اصفرّت الشمس بأن تقترب من الأرض فقد دخل هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك كان قبل طلوع الشمس، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧﴾[1] وهو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾[2]. وفيه ثلاث وظائف:

الأولى: يستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار وسائر ما ذكرناه في الورد الأول، والاستغفار مهم جداً في هذا الوقت، وقد قال تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[3].

وقوله:

﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[4].

وقوله:

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5].

وقوله:

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[6].

الثانية: إذا سمع الأذان قال:

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٠.

(٤) سورة النصر، الآية: ٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١١٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

«اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي».

ثم يجيب المؤذن.

الثالثة: الاشتغال بصلاة المغرب

وبغروب الشمس تنتهي أوراد النهار. وعلى العبد عندها أن يلاحظ أحواله، ويحاسب نفسه، فقد انقضت من طريقه مرحلة، فليرى هل ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً، أو كان شراً منه فيكون ملعوناً، وقد قال النبي ﷺ:

«لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً»[1].

فإن رأى أنه حاز على خير جديد فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه. وإن لم يجد ذلك فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وليشكر الله على ما أنعم عليه من صحة الجسم وبقاء بقية من عمره تمكنه من تدارك ما فاته، وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع، حيث يغلق عند ذلك باب التدارك والاعتذار. فليس العمر إلا أياماً معدودة ستنقضي لا محالة.

---

(١) الطبراني: ج١، ص١٥.

أوراد اللّيل

أوراد الليل خمسة وهي:

الورد الأول: من غروب الشمس إلى غيبوبة الشفق

والمقصود بالشفق الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة ولقد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾[1]. والصلاة فيه هو ناشئة الليل، لأنه أوّل نشوء ساعاته، وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى:

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ﴾[2].

وهو صلاة الأوّابين وهي المراد بقوله تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[3].

فقد روي أن النبيﷺ سئل عن هذه الآية فقال:

«الصلاة بين العشائين، ثم قال: عليكم بالصلاة بين العشائين، فإنها مذهبة لملاغاة النهار ومهذبة لآخره»[4].

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: ١٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٦.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس. الملاغاة: من اللغو، وهي جمع ملغاة.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن إبليس إنما يبثّ جنوده الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبث جنوده النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، ثم قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: أكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، وعوذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنهما ساعتا غفلة»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من صلّى المغرب ثم عقب ولم يتكلم حتى يصلي ركعتين كتبتا له في عليين، فإن صلّى أربعاً كتبت له حجّة مبرورة»[2].

وعنه عليه السلام قال للحارث بن مغيرة:

«لا تدع أربع ركعات بعد المغرب في سفر ولا حضر وإن طلبتك الخيل»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«تنفلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين فإنهما تورثان دار الكرامة وهي الجنّة، قال: وساعة الغفلة بين المغرب والعشاء الآخرة»[4].

وصلاة الأربع ركعات هي المعروفة بالصلاة الراتبة، وكيفيتها أن

---

(١) الفقيه: باب كراهية النوم بعد الغداة، ص١٣٣.

(٢) رواه الشيخ في التهذيب: ج١ ص١٦٧.

(٣) الكافي: ج٣ ص٤٤٦.

(٤) الفقيه: باب التنفل في ساعة الغفلة، ص١٤٨.

يقرأ في الأوليين الجحد والتوحيد وفي الثالثة أوّل سورة الحديد إلى قوله ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وفي الرابعة آخر سورة الحشر من قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا﴾.

وإن صلّى اثنتين أُخريين قرأ في أُولاهما: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا - إلى قوله - ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الثانية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ - إلى قوله - فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾، ثم يبسط يده للقنوت ويقول:

«اللهم إني أسألك بمفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تقضي حاجتي. اللهم أنت وليُّ نعمتي والقادر على طلبتي، تعلم حاجتي، وأسألك بحرمة محمد وأهل بيته عليه وعليهم السلام لما قضيتها لي».

ثم يسأل حاجته ويأتي بصلاة الوصية إن شاء وهي ركعتان يقرأ في الأولى بعد الحمد الزلزال ثلاث عشرة مرّة، وفي الثانية التوحيد خمس عشر مرّة. فعن النبي ﷺ قال:

«من فعل ذلك في كل ليلة زاحمني في الجنة ولم يحص ثوابه إلا الله»[1].

ثم إن بقي عنده وقت إلى ذهاب الحمرة اشتغل بإكمال التعقيب وإلا بادر إلى فريضة العشاء. وإن ذهبت الحمرة قبل أن يصلّي النوافل المذكورة أو شيئاً منها قضاها بعد العشاء. فإن الفريضة بعد دخول وقت فضيلتها أولى بالتقديم.

---

(١) مصباح المتهجد: ص٧٦.

الورد الثاني: وهو ما بين دخول وقت العشاء إلى حد نوم الناس

وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾[1] أي وما جمع من ظلمة.

وفي هذا الورد ثلاث وظائف هي:

الأولى: يبادر إلى فريضة العشاء جماعة مراعياً أدابها الظاهرة والباطنة، مطيلاً في قنوتها فإنه في سعة من الوقت.

الثانية: إذا فرغ من الفريضة أتى بالتعقيبات المشتركة بين الصلوات الخمس وبالأخرى المشتركة بين الصباح والمساء، ثم بما يختص بالعشاء كما هو مذكور في مواضعه، ومنه:

«اللهم بحق محمد وآل محمد لا تؤمنّا مكرك ولا تنسنا ذكرك، ولا تكشف عنا سترك، ولا تحرمنا فضلك، ولا تحلّ علينا غضبك، ولا تباعدنا من جوارك ولا تنقصنا من رحمتك، ولا تنزع عنا بركاتك، ولا تمنعنا عافيتك، وأصلح لنا ما أعطيتنا، وزدنا من فضلك المبارك الطيّب الحسن الجميل، ولا تغيّر ما بنا من نعمتك ولا تؤيسنا من روحك ولا تهنا بعد كرامتك، ولا تضلنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

ومنه أيضاً، وهو من أدعية طلب الرزق:

«اللهم إنه ليس لي علم بموضع رزقي وأنا أطلبه بخطرات تخطر على قلبي، فأجول في طلبه البلدان وأنا فيما أطلب كالحيران، لا أدري في سهل هو أم في أرض حزن أم

(١) سورة الانشقاق، الآية: ١٧.

في سماء أم في برّ أم في بحر، وعلى يدي من، ومن قبل من.

وقد علمت أن علمه عندك وأسبابه بيدك، وأنت الذي تقسمه بلطفك وتسبّبه برحمتك. اللهم فصل على محمد وآل محمد، واجعل يا رب رزقك لي واسعاً ومطلبه سهلاً ومأخذه قريباً ولا تعذبني بطلب ما لم تقدّر لي فيه رزقاً فإنك غني عن عذابي وأنا فقير إلى رحمتك، فصلّ على محمد وآل محمد، وجد على عبدك بفضلك إنك ذو فضل عظيم».

ويطيل في التعقيب بشرط الإقبال ثم يسجد سجدتي الشكر بتضرع وخشوع وإطالة.

الثالثة: بعد سجدتي الشكر يصلي ركعتي الوتيرة جالساً، يقرأ في الأولى الواقعة أو الملك، وفي الثانية التوحيد ويدعو بعد الفراغ بما شاء وينصرف.

الورد الثالث: النوم

لا بأس أن يعدّ النوم من الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه؛ احتسب عبادة. فقد روي:

«إنه إذا نام العبد على طهارة ذاكراً الله تعالى يكتب مصلّياً حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك، فإن تحرك في نومه فذكر الله سبحانه دعا له الملك واستغفر له»[1].

وفي الخبر:

---

(١) مجمع الزوائد: ج١٠ ص١٢٨.

«إنه إذا نام (العبد) على الطهارة رفع بروحه إلى العرش»[1].

هذا بالنسبة للعوام فكيف بالنسبة إلى العلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم. ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح».

الورد الرابع: بعد النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه

إذا مضى النصف الأول في الليل يقوم العبد للتهجد، والتهجد من الهجود وهو النوم. وبه أقسم الله سبحانه فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[2]، أي إذا سكن. وسكونه وهدوؤه في وقت لا تبقى عين إلا وقد نامت، سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. وقيل: ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ إذا امتد وطال، وقيلَ إذا أظلم. وسئل رسول الله ﷺ أي الليل أسمع؟ فقال: «جوف الليل»[3].

وقال داود عليه السلام:

«إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأي وقت أفضل؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود لا تقم أوّل الليل ولا آخره، فإنه من قام أوّله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوّله، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك، وارفع إليّ حوائجك.

ووظائف هذا الورد ثلاث هي:

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.
(٢) سورة الضحى، الآية: ٢.
(٣) البيهقي في السنن: ج٣ ص٤.

الأولى: بعد الفراغ من أدعية الاستيقاظ يتوضأ وضوءاً بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجّه إلى مصلاه، بعد أن يتأسى بالنبي ﷺ في الاستياك.

الثانية: إذا قام من مصلاه فليقل ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه:

«إذا قمت بالليل فانظر في آفاق السماء وقل: «اللهم إنه لا يواري عنك ليلٌ ساجٍ ولا سماء ذات أبراج، ولا أرض ذات مهاد، ولا ظلماتٌ بعضها فوق بعض ولا بحر لجيّ تدلج بين يدي المدلج من خلقك، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحيُّ القيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، سبحان الله رب العالمين وإله المسلمين، والحمد لله رب العالمين». ثم اقرأ الآيات الخمس من آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ـ إلى ـ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1].

ثم يدعو بدعاء زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به في جوف الليل وهو:

«إلهي غارت نجوم سمائك، ونامت عيون أنامك، وهدأت أصوات عبادك وأنعامك، وغلّقت الملوك عليها أبوابها، وطاف عليها حراسها، واحتجبوا عمّن يسألهم حاجة، أو ينتجع منهم فائدة، وأنت يا إلهي حيّ قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، ولا يشغلك شيء عن شيء، أبواب سمائك لمن دعاك مفتّحات، وخزائنك غير مغلّقات، وأبواب رحمتك غير محجوبات، وفوائدك لمن سألكها غير محظورات بل هي مبذولات. إلهي أنت الكريم الذي لا تردّ سائلاً من المؤمنين سألك، ولا تحتجب عن أحد منهم أرادك، لا

---

(١) الكافي: ج٣ ص٤٤٥ ح١٢.

وعزتك وجلالك، لا تختزل حوائجهم دونك ولا يقضيها أحدٌ غيرك. اللهم وقد ترى وقوفي وذلّ مقامي بين يديك وتعلم سريرتي وتطلع على ما في قلبي، وما تصلح به أمر آخرتي ودنياي. اللهم إن ذكرت الموت وهول المطّلع والوقوف بين يديك نغّصني مطعمي ومشربي، وأغصّني بريقي، وأقلقني عن وسادي ومنعني رقادي، كيف ينام من يخاف ملك الموت في طوارق الليل وطوارق النهار، بل كيف ينام العاقل وملك الموت لا ينام بالليل ولا بالنهار، ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات».

وكان عليه السلام يسجد بعد هذا الدعاء يلصق خدّه بالتراب ويقول:

«أسألك الرّوح والراحة عند الموت والعفو عني حين ألقاك»(١).

الثالثة: يفتتح صلاة الليل ويأتي في الركعة الأولى بالتكبيرات السبع مع أدعيتها. ويقرأ فيها التوحيد مرّة أو ثلاثين مرّة، وفي الثانية الجحد. وفي الستّ الباقية السور الطوال على قدر الوقت. فإن ضاق الوقت اقتصر على الحمد، وإن ضاق عن جميع الصلوات اقتصر على ثلاث ركعات؛ الوتر وركعتي الفجر ويقضي الباقي. ويقنت في الركعة الثانية بما شاء من الأدعية المأثورة. فعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة»(٢).

ويفصل كل ركعتين بتسليمة والوتيرة الأخيرة بتسليمة أيضاً. والأولى أن يأتي بعد التسليم بذكر ودعاء ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة فيقول:

---

(١) مصباح المتهجد: ص٩٢.

(٢) رواه الصدوق في الفقيه: ص١٢٩ ح٢.

«اللهم إني أسألك ولم يُسأل مثلك أنت موضع مسألة السائلين ومنتهى رغبة الراغبين، أدعوك ولم يدع مثلك، وأرغب إليك ولم يرغب إلى مثلك، أنت مجيب دعوة المضطرين وأرحم الراحمين أسألك بأفضل المسائل وأنجحها وأعظمها يا الله يا رحيم، وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك التي لا تحصى وبأكرم أسمائك وأحبها إليك وأقربها منك وسيلة وأشرفها عندك منزلة وأجزلها لديك ثواباً وأسرعها في الأمور إجابة وباسمك المكنون الأكبر الأعزّ الأجل الأعظم الأكرم الذي تحبّه وتهواه وترضى به عمّن دعاك واستجبت له دعاءه، وحقّ عليك أن لا تردّ سائلك، وبكل اسم هو لك في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، وبكل اسم دعاك به حملة عرشك وملائكتك وأنبياؤك ورسلك وأهل طاعتك من خلقك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تعجّل فرج وليّك، وتعجّل خزي أعدائه وأن تفعل بي كذا وكذا».

ثم يسبح بتسبيح الزهراء عليها السلام ويدعو بعده بما يشاء، ويسجد سجدتي الشكر.

ثم يقوم إلى الركعتين الأخيرتين والوتر، يطيل القنوت فيها باكياً أو متباكياً، ويستغفر فيها سبعين مرّة أو مائة، ويدعو فيها للمؤمنين والمؤمنات ويستغفر لهم. ويدعو بعد النهوض من الركوع بالمأثور وبعد الفراغ منها بدعاء الحزين المنقول عن سيد العابدين عليه السلام.

الورد الخامس: وهو السدس الأخير من الليل

وهو وقت السحر الذي قال الله تعالى فيه:

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام روى معاوية بن عمار فقال:

«سمعته يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ في الوتر في آخر الليل سبعين مرّة»[2].

وعن الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«من قال في وتر إذا أوتر: «أستغفر الله وأتوب إليه» سبعين مرّة، وواظب على ذلك حتى تمضي سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله عز وجل»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«إستغفر الله في الوتر سبعين مرّة تنصب يدك اليسرى وتعدّ باليمنى الاستغفار. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله في الوتر سبعين مرّة ويقول: «هذا مقام العائذ بك من النار» سبع مرّات»[4].

وعنه عليه السلام قال:

«القنوت في الوتر الاستغفار وفي الفريضة الدعاء»[5].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«في قوله عز وجل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾: هو

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٨.
(٢) التهذيب: ج١ ص١٧٢.
(٣) المحاسن: ص٥٣.
(٤) الفقيه: ص١٢٩ ح٧.
(٥) الكافي: ج٣ ص٢٤٠.

الوتر آخر الليل»[1].

وسئل الإمام الرضاعليه السلام: «عن ساعات الوتر فقال:

أحبّها إليّ الفجر الأوّل، وسئل عن أفضل ساعات الليل، فقال: الثلث الباقي»[2].

وسئل الإمام الصادقعليه السلام:

«متى أصلّي صلاة الليل؟ فقال: صلّها آخر الليل»[3].

ووقت هذا الورد يقارب الفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار. وفي هذا الورد:

الأول: صلاة ركعتي الفجر. وأفضل أوقات هاتين الركعتين ما بين الفجرين. فعن الرضاعليه السلام قال: «احش بهما صلاة الليل»[4].

وسئل الإمام الصادقعليه السلام:

«أين موضعهما؟ قال: قبل طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة»[5].

الثاني: إذا فرغ من ركعتي الفجر يضطجع على يمينه مستقبل القبلة كالملحود ويضع خدّه الأيمن على يده اليمنى ويقرأ الآيات الخمس الأخيرة من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

ثم يقول:

«اللهم استمسكت بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها،

---

(١) رواه الطبرسي.

(٢) التهذيب: ج١ ص٢٣٢.

(٣) التهذيب: ج١ ص٢٣١.

(٤) التهذيب: ج١ ص١٧٣.

(٥) التهذيب: ج١ ص١٧٢.

واعتصمت بحبل الله المتين، وأعوذ بالله من شرّ فسقة العرب والعجم. آمنت بالله، وتوكلت على الله، ألجأت ظهري إلى الله، وفوّضت أمري إلى الله، من يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً، حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم من أصبح وحاجته إلى مخلوق فإن حاجتي ورغبتي إليك. الحمد لربّ الصباح، الحمد لفالق الإصباح ـ ثلاثاً ـ»[١].

وعن الإمام الهادي عليه السلام قال:

«إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر، ولكن ضجعة بلا نوم فإن صاحبه لا يحمد على ما قدّم من صلاته»[٢].

وينبغي أن يدعو بعد ذلك بدعاء الصحيفة السجادية الذي كان عليه السلام يدعو به بعد صلاة الليل.

---

(١) التهذيب: ج١ ص١٧٤.

(٢) أخرجه البيهقي: ج٤ ص١٨٩.

اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

إن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ست أحوال فإنه؛ إما عابد أو عالم أو متعلم، وإما وال أو محترف أو موحد مستغرق بالإله الواحد الصمد.

١ ـ حال العابد:

العابد وهو المتجرّد للعبادة، والذي لا شغل له أصلاً، فلو ترك العبادة لجلس بطّالاً. وترتيب أوراده ما ذكرناه سابقاً. نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو التسبيحات.

فقد كان ورد بعض العباد في اليوم إلى اثني عشر ألف تسبيحة، وكان بعضهم يصل ورده إلى ثلاثين ألفاً. وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة إلى ألف، وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة.

وكان بعضهم أكثر ورده القرآن حتى كان البعض منهم يختم القرآن في كل يوم مرّة، وروي عن البعض مرتين. وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها. ولكن ينبغي عدم العجلة لأنها مذمومة، كما أنه ينبغي على العابد أن يريح بدنه ونفسه من وقت لآخر، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾:

«لعلك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: لا بد لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن، ورجعت الروح فيه وفيه قوّة على العمل، فإنما ذكركم الله تعالى فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أنزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا؛ ينامون في أوّل الليل فإذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين راهبين طامعين فيما عنده، فذكرهم الله عز وجل في كتابه لنبيّه وأخبره بما أعطاهم، وأنه أسكنهم في جواره وأدخلهم جنّته وآمن خوفهم وآمن روعتهم، قلت: جعلت فداك إن أنا قمت آخر الليل أي شيء أقول إذا قمت؟ فقال: قل: «الحمد لله رب العالمين وإله المرسلين الحمد لله الذي يحيي الموتى ويبعث من في القبور»، فإنك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله تعالى»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إني لأمقت الرجل يأتيني فيسألني عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: أزيد، كأنه يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قصّر في شيء».

واعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه، لذا فإن الورد يختلف باختلاف حال الشخص.

والمقصود من الأوراد هو تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به. لذا على المريد أن ينظر إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه حتى إذا أحسّ في نفسه مللاً منه فلينتقل إلى غيره. لذا

---

(١) الفقيه: ص١٢٧ ح٦.

فإن الأصوب لأكثر الخلق توزيع الأوراد المختلفة على الأوقات كما سبق وذكرنا والانتقال من واحد منها إلى آخر، لأن الملل هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد أيضاً مختلفة، لكن إذا فهم الإنسان فقه الأوراد وسرّها فليتبع المعنى، فإن سمع تسبيحة ما مثلاً فأحس بأن لها وقعاً في قلبه فليواظب على تكراره ما دام يجد له وقعاً.

٢ ـ حال العالم:

إن العالم الذي ينتفع الناس بعلمه فترتيب الأوراد عنده يخالف ترتيبها عند العابد. فالعالم يحتاج إلى مطالعة الكتب وإلى التصنيف، وهذا ما يحتاج منه إلى وقت يصرفه عليهما. لذا فإن أمكنه استغراق جلّ وقته فيها فهو أفضل ما يشتغل به.

ويدل على ذلك ما روي في فضل العلم وأن المواظبة عليه ذكر لله، لما فيه من منفعة للخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة.

فربّ مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فتنصلح بها عبادة عمره. وإنما نعني بالعلم المقدّم على العبادة العلم الذي يرغّب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا، أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة.

والأولى بالعالم أن يقسّم أوقاته أيضاً، فإن استغراق الوقت كله في العلم مما لا يحتمله الطبع. لذا ينبغي أن يخصص فترة ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد، وبعد طلوع الشمس إلى ضحوة النهار بالإفادة والتعليم والتفكّر. فيتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطّن للمشكلات. ومن ضحوة النهار إلى العصر يشتغل بالتصنيف. أما المطالعة فلا ينبغي أن يتركها إلا في وقت أكل أو طهارة أو كتابة أو قيلولة.

ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع. ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح. فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللسان، ووردُه الثاني في عمل القلب بالتفكر والتعليم إلى الضحوة، ووردُه الثالث إلى العصر في عمل العين واليد والمطالعة والكتابة، ووردُه الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروّح فيه عن العين واليد، فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرّتا بالعين، وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان، فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب.

أما الليل فالأولى له أن ينام النصف الأول منه، ثم يستقيظ في النصف الأخير منه أو بعد مضي الثلثين. فإن أواخر الليل سيّما السحر أصفى وأشد بركة، وكذلك كان يفعل رسول الله ﷺ في أكثر الأحيان.

٣ ـ حال المتعلم:

أما المتعلم فالأفضل له الاشتغال بالتعلم من الاشتغال بالأذكار والنوافل. وحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة. وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف.

وحضور المتعلم مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها. فعن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها، فقيل: يا رسول الله وما هي رياض الجنة؟ فقال: حلق الذكر»[1].

---

(١) رواه أبو داود.

وقد وصّى لقمان ابنه فقال:

«يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علّموك ولعلّ الله أن يظلّهم برحمته فتعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبته فتعمّك معهم»[1].

وعلى العموم فما ينحلّ من قلب المتعلّم من حبّ الدنيا بالوعظ والتعلّم أشرف وأنفع له من ركعات كثيرة والقلب مقبل على الدنيا محب لها.

٤ ـ حال المحترف:

المحترف هو الذي يحتاج إلى الكسب لأجل عياله. إذ ليس مقبولاً أن يستغرق في العبادات تاركاً العيال أن يضيعوا. بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب. ولكن ينبغي أن لا ينسى الله تعالى عند اشتغاله بصناعته، بل عليه أن يواظب على التسبيح والذكر وقراءة القرآن، فإن ذلك يمكن أن يجتمع مع العمل. وإنما لا يمكن مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناطوراً مثلاً فإنه لا يعجزه إقامة أوراد الصلاة مع عمله.

ثم إذا فرغ عن كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد التي ذكرناها. وكسب الصانع على هذه النية هي بحد ذاتها عبادة له تقرّبه إلى الله تعالى، كما أنه يحصل له من وراء كسبه فائدة ثانية هي نيله بركة دعوات المسلمين فتضاعف بذلك أجره. فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٩.

«قال رسول الله ﷺ: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: ملعون من ألقى كلّه على الناس»[2].

٥ ـ حال الوالي:

الوالي هو الإمام أو القاضي أو المتولي النظر في أمور المسلمين فإن قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل له من الأوراد المذكورة. فحقّه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقيم الأوراد ليلاً. طبعاً هذا إنما يصح إذا كان أحد هؤلاء الثلاثة جديراً بمنصبه، أما إذا كان جائراً أو كان معيّناً من قبل أئمة الجور فهو طاغوت. فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنه سُئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القاضي أيحل ذلك فقال عليه السلام: من تحاكم إلى طاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً، لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ قال عليه السلام: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والراد علينا رادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله»[3].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٧٨ ح٦.

(٢) الكافي: ج٥ ص٧٢ ح٧.

(٣) الكافي: ج٧ ص٤١٢ ح٥.

ملاحظة مهمة:

نستطيع أن نفهم من مجموع ما ذكرناه حتى الآن أنه يقدّم على العبادات البدنية أمران:

الأول: العلم.

الثاني: الرفق بالمسلمين.

لأن كل واحد منهما عبادة في حد نفسه مفضّلة على سائر العبادات لتعدي فائدتها وشمولها للآخرين وانتشار جدواها، لذا كانا مقدمين على العبادة البدنية.

٦ ـ حال الموحّد:

وهو المستغرق بالإله الواحد الصمد سبحانه، الذي أصبحت همومه همّاً واحداً، فلا يحب إلا الله ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا يرى الله فيه. ومن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يعد بحاجة إلى تنوع الأوراد واختلافها بل صار ورده واحداً وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبه أمر ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره لائح إلا كان له فيه عبرة وفكرة ومزيد. فلا محرك لهذا الصنف من البشر ولا مسكّن إلا الله تعالى، وهؤلاء جميع أحوالهم تصلح لأن تكون سبباً لازديادهم، فلا تتميّز عندهم عبادة عن عبادة، وهم الذين فروا إلى الله تعالى كما قال عز وجل:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

ومتحقق فيهم قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2].

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٦.

وهذه هي منتهى درجات الصدّيقين، ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها فترة طويلة.

ولا ينبغي للمريد أن يغترّ بذلك المقام فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته، بل إن لهذا المقام علامات وهي؛ أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر فيه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزّه عظائم الأشغال.

وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله، قال الله تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝٨٤﴾[1].

وفي الخبر:

«الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة»[2].

وقيل أيضاً إن الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقاً بعدد الأنبياء المرسلين وإن كل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق المؤدي إلى الله. فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[3].

والعباد إنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله. وأقربهم إلى الله أعرفهم به وأعرفهم به لا بد أن يكون أعبدهم له، فمن عرفه لم يعبد غيره.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

(٢) مجمع الزوائد: ج١ ص٣٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

والأصل في الأوراد في حقّ كل صنف من الناس المداومة لأن تغيير صفات الباطن والأعمال بشكل دائم يحرم الإنسان من معرفة وتحسّس آثار هذه الأعمال والصفات. ولهذا السرّ قال رسول الله ﷺ:

«أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قلّ»[1].

وقال ﷺ أيضاً:

«من عوّده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قلّ»[3].

وعنه عليه السلام قال بعد ذكر الرواتب اليومية:

«إنما هذا كله تطوّع وليس بمفروض، إن تارك الفريضة كافر، وإن تارك هذا ليس بكافر، ولكنها معصية لأنه يستحب إذا عمل الرجل عملاً من الخير أن يدوم عليه»[4].

---

(١) أخرجه مسلم: ج٢ ص١٨٩.

(٢) رواه ابن السنى في رياضة المتعبدين.

(٣) الكافي: ج٢ ص٨٢ ح٢.

(٤) التهذيب: ج١ ص١٣٥.

آداب النوم

آداب النوم عشرة وهي:

الأول: الطهارة والسواك:

قال رسول الله ﷺ:

«إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش وكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ، فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«من تطهّر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده فإن ذكر أنّه على غير وضوء فليتيمم من دثاره، وكائناً ما كان لم يزل في صلاة ما ذكر الله تعالى»[٢].

الثاني: ينوي القيام للعبادة:

من آداب النوم أن يضع تحت رأسه سواكه وينوي إذا نام القيام للعبادة عند التيقظ، وكلما تنبه يستاك. فقد روي عن النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد.

(٢) الفقيه: ص١٢٣، باب ما يقول الرجل إذا أوى إلى فراشه.

«إنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبّه منها»[1].

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال:

«إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله إذا صلى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه فوضع عند رأسه مخمّراً فيرقد ما شاء الله، ثم يقوم فيستاك ويتوضأ، ويصلي أربع ركعات، ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضأ، ويصلي أربع ركعات، ثم يرقد حتى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر فصلى الركعتين، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قلت: متى كان يقوم؟ قال: بعد ثلث الليل»[2].

وفي رواية أخرى زيد عليها:

«فإذا استيقظ جلس ثم قلّب بصره في السماء، ثم تلا الآيات من آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثم يستنّ ـ أي يستاك ـ ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته وركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، ويركع حتى يقال: متى يرفع رأسه؟ ويسجد حتى يقال: متى يرفع رأسه؟ ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات ويقلّب بصره..»[3].

وعن النبيصلى الله عليه وآله قال:

«من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلّي من الليل فغلبته

---

(١) السنن الكبرى: البيهقي ج١ ص٣٨.

(٢) الكافي: ج٣ ص٤٤٥ ح١٣.

(٣) التهذيب: ج١ ص٢٣١.

عيناه حتى يُصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى»[1].

الثالث: أن لا يبيت إلا ووصيته مكتوبة عنده:

فإنه لا يأمن قبض الروح أثناء النوم. يقال: إن من مات من غير وصيّة لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة، فيتزاور الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات من غير وصية.

فالوصية مستحبة خوفاً من موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الوصيّة حق على كل مسلم»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحسن وصيّته عند الموت كان ناقصاً في مروّته وعقله»[3].

الرابع: التوبة:

فمن آداب النوم المهمة أن ينام تائباً من كل ذنب، سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدّث نفسه بظلم أحد منهم أبداً، ولا يعزم على معصية إن استيقظ. قال النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) أخرجه النسائي: ج٣ ص٢٥٧.
(٢) الكافي: ج٧ ص٣ ح٤.
(٣) الفقيه: باب ٧٩ ص٥٢١.

«من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم»[1].

الخامس: عدم الاهتمام بتمهيد الفرش الناعمة:

من آداب النوم أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه، بل يرى ذلك تكلفاً للنوم. وكان أهل الصفّة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً ويقولون: «منها خلقنا وإليها نعود». وكانوا يرون ذلك أرقّ لقلوبهم وأجدر لتواضع نفوسهم، ومن لم تسمح له نفسه بذلك فليقتصد.

السادس: أن لا يتكلّف النوم:

من آداب النوم أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلّف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر اللّيل. بل ينبغي أن يكون نوم الإنسان غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. فإن غلبه النوم ومنعه من الصلاة والذكر فصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول.

قيل لرسول الله ﷺ:

«إن فلانة تصلي بالليل فإذا غلبها النوم تعلّقت بحبل، فنهى ﷺ عن ذلك»[2].

وقال ﷺ:

«ليصلّ أحدكم من الليل ما يتيسّر له فإذا غلبه النوم فليرقد»[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب النية.

(٢) صحيح مسلم: ج٢ ص١٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ج٢ ص١٨٩.

وقال ﷺ:

«تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا»[1].

وقال ﷺ:

«خير الدين أيسره»[2].

وقيل له:

«إن فلاناً يصلي ولا ينام، ويصوم ولا يفطر، فقال: لكني أصلّي وأنام وأصوم وأفطر، هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني»[3].

وقال ﷺ:

«لا تشادّوا هذا الدين فإنه متين، فمن يشادّه يغلبه، فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله سبحانه»[4].

السابع: النوم مستقبل القبلة:

والاستقبال على ضربين؛ أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه، ويكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة. والثاني: استقبال اللّحد، وهو أن ينام على جنبه ويكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشق الأيمن.

عن أحمد بن إسحاق قال:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير.

(٤) السنن الكبرى: البيهقي، ج٣ ص١٩.

«قلت لأبي محمد ـ أي الحسن العسكري ـ عليه السلام: جعلت فداك إني مغتمّ يصيبني في نفسي وقد أردت أن أسأل أباك عليه السلام فلم يقض لي ذلك، فقال: وما هو يا أحمد؟ فقلت: روي لنا عن آبائك عليهم السلام أن نوم الأنبياء على أقفيتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم؟ فقال عليه السلام: كذلك هو، قلت: يا سيدي فإني أجهد أن أنام على يميني فلا يمكنني ولا يأخذني النوم عليها، فسكت ساعة ثم قال: يا أحمد أُدن مني فدنوت، فقال: أدخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها فأخرج يده من تحت ثيابه فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر، وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرات، قال أحمد: فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل عليه السلام ذلك بي، ولا يأخذني عليها نوم أصلاً»[١].

وينبغي أن يتوسّد بيمينه، كما قال أبو جعفر عليه السلام:

«إذا توسّد الرجل بيمينه فليقل: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، توكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت»[٢] ثم يسبح تسبيح الزهراء عليها السلام.

الثامن: الدعاء عند النوم:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) الكافي: ج١ ص٥١٣ ح٢٧.

(٢) الفقيه: باب ما يقول الرجل إذا أوى إلى فراشه، ص١٢٣.

«من قرأ هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من عبد قرأ آخر الكهف حين ينام إلا استيقظ في الساعة التي يريد»[2].

وليقرأ أيضاً إذا شاء آية الكرسي وخواتيم البقرة والتكاثر والجحد والتوحيد كما ورد في الأخبار المعتبرة.

التاسع: التذكر:

من الآداب المهمة أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع من الوفاة وأن الاستيقاظ نوع من البعث. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ...﴾ فسماها توفّياً. فكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم، فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسّه. ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة. قال لقمان لابنه:

«يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت، وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك».

فحق العبد أن يفتش في قلبه عند نومه أنه على ماذا ينام وما هو الغالب عليه، حب الله وحب لقائه أو حب الدنيا؟! وليتأكد أنه سيتوفى

---

(١) التهذيب: ج١ ص١٨٥.

(٢) الكافي: ج٢ ص٥٤٠.

على ما هو الغالب عليه، وسيحشر على ما يتوفى عليه، فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب.

العاشر: الدعاء عند التنبّه:

فإذا انتبه النائم من نومه فليقل ما كان يقوله رسول الله ﷺ:

«لا إله إلا الله الواحد القهار ربّ السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»[1].

وليجتهد إذا نام أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأوّل ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو من علامات الحب وهي علامة تكشف عن باطن القلب. وإنما استحبت هذه الأذكار لتجرّ القلب إلى ذكر الله. فإذا استيقظ فليقل:

«الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور...»[2].

وينبغي أن يسجد أول ما ينتبه ثم يأتي بهذا الذكر لما روي:

«أنّ النبي ﷺ كان إذا انتبه من نومه سجد».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾:

«كان القوم ينامون ولكن كلما انقلب أحدهم قال: الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[3].

---

(١) أخرجه ابن السنى في عمل اليوم والليلة: ص٢٠٤.

(٢) أخرجه أبو داود: ج٢ ص٦٠٧.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٣١.

فضيلة قيام الليل

أما في الآيات فقوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾(1).

وقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾(2).

وقال عز اسمه:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾(3).

وقال عز وجل:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾(4).

---

(1) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(2) سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٦.

(3) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(4) سورة الزمر، الآية: ٩.

وقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2].

قيل هي صلاة الليل يستعان عليها بالصبر. ومن الأخبار قول النبي ﷺ:

«يعقد الشيطان على ناصية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله سبحانه انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[3].

وفي خبر آخر ذكر عند الرسول ﷺ رجل نام كل الليل حتى يصبح فقال:

«ذاك بال الشيطان في أذنه»[4].

وقال ﷺ:

«ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشقّ على أمتي لفرضتها عليهم»[5].

وقال ﷺ:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري: ج٢ ص٦٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس.

«إنّ من الليل ساعة لا يوافيها عبدٌ مسلم يسأل الله بخير إلا أعطاه إياه»[1].

وروي عنه ﷺ:

«أنه قام حتى تفطّرت قدماه، فقيل له، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً»[2].

وقال ﷺ:

«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للدّاء عن الجسد ومنهاة عن الإثم»[3].

وقال ﷺ:

«ما من امرىء يكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه»[4].

وقال ﷺ لأبي ذر (رضي الله عنه):

«لو أردت سفراً أعددت له عُدّة فكيف سفر طريق القيامة، ألا أنبئك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي، قال: صم يوماً شديد الحرّ ليوم النشور، وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحجّ حجة لعظائم الأمور، وتصدّق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو

---

(١) أخرجه مسلم: ج٢ ص١٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي: ج٣ ص٢٠٥.

(٣) رواه الترمذي: ج١٣ ص٦٤.

(٤) أخرجه أبو داود: ج١ ص٣٠٣.

كلمة شرّ تسكت عنها»[1].

وقيل لرسول الله ﷺ:

«إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: سينهاه ما يعمل»[2].

وقال ﷺ:

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى ثم أيقظ امرأته فصلّت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت ثم أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[3].

وقال ﷺ:

«من استيقظ من الليل أو أيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[4].

وقال ﷺ:

«أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»[5].

وروي أيضاً أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال له:

«يا جبرئيل عِظني فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميّت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد.

(٢) مجمع الزوائد: ج٢ ص٢٥٨.

(٣) أخرجه أبو داود: ج١ ص٣٠١.

(٤) أخرجه ابن ماجة: رقم ١٣٣٥.

(٥) أخرجه الدارمي: ج١ ص٣٦٤.

ملاقيه، شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّ الأذى عن الناس»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن من روح الله عز وجل ثلاثة: التهجّد بالليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان»[2].

وقال عليه السلام أيضاً:

«عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطردة الداء عن أجسادكم»[3].

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ قال: «قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله لا يريد به غيره»[4].

وقال الصادق عليه السلام أيضاً:

«يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف: صنف له ولا عليه وصنف عليه ولا له، وصنف لا عليه ولا له، فأما الصنف الذي له ولا عليه فيقوم من منامه فيتوضأ ويصلي ويذكر الله عز وجل فذلك الذي له ولا عليه، وأما الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله تعالى فذلك الذي عليه ولا له، وأما الصنف الثالث فلم يزل قائماً حتى أصبح فذلك الذي لا عليه ولا له»[5].

---

(١) الفقيه: ص١٢٤ ح١.

(٢) المصدر السابق: ح٢.

(٣) المصدر السابق: ح٤.

(٤) الكافي: ج٣ ص٤٤٦.

(٥) الفقيه: ص١٢٤ ح٦.

وقال عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال:

«صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب النهار»[1].

ومدح الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه بقيام صلاة الليل فقال عز من قائل:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال: لولا الذين يتحابون بجلالي ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار لولاهم لأنزلت عذابي»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[4].

وجاء رجل إلى الإمام الصادق فشكا إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتى كاد أن يشكو الجوع فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

«يا هذا أتصلي بالليل؟ فقال الرجل: نعم، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه، فقال: كذب من زعم أنه يصلّي بالليل ويجوع بالنهار، إن الله تعالى ضمن بصلاة الليل قوت النهار»[5].

---

(١) الفقيه: ص١٢٥ ح٩.

(٢) المصدر السابق: ح١٠.

(٣) المصدر السابق: ح١١.

(٤) التهذيب: ج١ ص١٦٨.

(٥) المصدر السابق.

وعن الإمام الباقرعليه السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى يحبّ المداعب في الجماعة بلا رفث، المتوحد بالفكر، المتخلي بالعبر، الساهر بالصلاة»[1].

وقال النبيصلى الله عليه وآله عند وفاته لأبي ذر (رض):

«يا أبا ذر احفظ وصيّة نبيّك تنفعك، من ختم له بقيام الليل ثم مات فله الجنة. . .»[2].

وروي أن رجلاً سأل علي بن أبي طالبعليه السلام عن قيام الليل بالقرآن فقال لهعليه السلام :

«أبشر، من صلّى من الليل عُشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في اللّيل من حبّة وورقة وشجرة، وعدد كل قصبة وخوص ومرعى.

ومن صلّى تُسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات، وأعطاه كتابه بيمينه. ومن صلّى ثُمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النيّة وشفّع في أهل بيته. ومن صلّى سُبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يمرّ على الصراط مع الآمنين. ومن صلّى سدس ليلة كتب في الأوّابين وغفر له ما تقدم من ذنبه.

ومن صلى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمنعليه السلام في قبّته. ومن صلّى ربع ليلة كان في أوّل الفائزين حتى يمرّ

---

(١) التهذيب: ج ١، ص ١٦٨.

(٢) المصدر السابق.

على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنة بغير حساب. ومن صلّى ثلث ليلة لم يلق ملكاً إلا غبطه بمنزلته من الله عز وجل وقيل له: ادخل من أيّ أبواب الجنة الثمانية شئت.

ومن صلّى نصف ليلة فلو أعطي ملء الأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل جزاءه، وكان له بذلك عند الله عز وجل أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل. ومن صلّى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل أحد عشر مرات.

ومن صلّى ليلة تامة تالياً لكتاب الله عز وجل راكعاً وساجداً وذاكراً أعطي من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته أمه، ويكتب له عدد ما خلق الله عز وجل من الحسنات ومثلها درجات، ويثبت النور في قبره، وينزع الإثم والحسد من قلبه، ويجار من عذاب القبر، ويعطى براءة من النار، ويبعث من الآمنين، ويقول الرب تعالى لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيى ليلة ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس، وله فيها مائة ألف مدينة في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ولم يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة»[١].

وعن الإمام الصادق أو الباقر عليه السلام قال:

«ليس من عبد إلا هو يوقظ في ليلة مرّة أو مرّتين فإن قام كان ذلك وإلا جاءه الشيطان فبال في أذنه. أو لا يرى

---

(١) التهذيب: ج١ ص١٦٨.

أحدكم أنه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام وهو متخثّر ثقيل كسلان»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إني لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم حتى إذا كان عند الصبح قام يبادر بصلاته»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ما نوى عبد أن يقوم أيّة ساعة نوى فعلم الله تعالى ذلك إلا وكّل به ملكين يحرّكانه تلك الساعة»[3].

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إن رجلاً من مواليك من صلحائهم شكا إليّ ما يلقى من النوم، فقال: إني أريد القيام إلى الصلاة بالليل فيغلبني النوم حتى أصبح، وربما قضيت صلاتي الشهر متتابعاً والشهرين أصبر على ثقله، فقال: قرّة عين له والله، قال: ولم يرخص له في الصلاة أوّل الليل وقال: القضاء بالنهار أفضل، قلت: فإنّ من نسائنا أبكاراً الجارية تحب الخير وأهله وتحرص على الصلاة فيغلبها النوم حتى ربما قضت وربما ضعفت عن قضائه فهي تقوى عليه أوّل الليل، فرخّص لهن في الصلاة أوّل الليل إذا ضعفن وضيّعن القضاء»[4].

---

(١) الفقيه: ص١٢٦ ح٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي: ج٣ ص٤٤٧ ح٢٠.

الأسباب المعينة على إحياء الليل

إن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفّق للإتيان بشرائطه الظاهرية والباطنية الميسّرة له.

أما الشروط الظاهرية فأربعة وهي:

١ ـ عدم الإكثار من الأكل:

لأن من يكثر الأكل يكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام.

٢ ـ الراحة في النهار:

فمن الشروط أيضاً أن لا يتعب نفسه في النهار بالأعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم.

٣ ـ القيلولة بالنهار:

من الشروط أيضاً أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سبب للاستعانة على القيام بالليل.

٤ ـ عدم ارتكاب الذنوب:

فإن الذنوب تقسي القلب وتحول بينه وبين أسباب الرحمة. روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه:

«جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

يا أمير المؤمنين إني قد حرمت الصلاة بالليل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك»[1].

فالذنوب تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل، وأكثر الذنوب تأثيراً تناول الحرام، فاللقمة الحلال تؤثر في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر فيه غيره. ويعرف ذلك جيداً أهل القلوب والمراقبة ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بسببها قيام سنة. فكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات.

والشروط الباطنية أيضاً أربعة وهي:

١ ـ إعراض القلب عن الدنيا:

إن سلامة القلب عن حقد المسلمين ومن البدع ومن فضول هموم الدنيا من الشروط الأساسية للقيام بالليل. فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا فيما يشغل باله من أمور الدنيا ولا يجول في خاطره إلا وساوسها.

٢ ـ الخوف من الآخرة:

إن الإنسان إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار النوم من عينيه وعظم حذره. فالمؤمن إذا تذكر النار اشتد خوفه منها وإذا تذكر الجنة اشتد شوقه إليها فلا يقدر أن ينام.

٣ ـ معرفة فضيلة القيام بالليل:

من الشروط المهمة أيضاً معرفة فضل قيام الليل من خلال سماع

---

(١) الكافي: ج٣ ص٤٥٠.

الآيات والأخبار التي تبين فضيلتها حتى يستحكم بها رجاؤه وشوقه إلى ثوابه، فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان.

٤ ـ حب الله:

وهذا الشرط هو من أشرف الأسباب، فالعبد إذا أحب الله تعالى أحبّ لا محالة الخلوة به، وتلذّذ بمناجاته، وتحمله هذه اللذة مع الحبيب على طول القيام، قال بعض العارفين: إن الله ينظر في الأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنبعث العافية من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

وروي أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين:

«إن لي عباداً من عبادي يحبّوني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتّك، قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي وتملّقوني بإنعامي، فبين صارخ وباكٍ، وبين متأوّه وشاكٍ، بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبّي، أوّل ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية لو كانت السماوات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة أقبل بوجهي عليهم، افترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟».

وعن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ من الليل ساعة لا يوافيها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه»[1].

وهذه الساعة معلومة لنا بتعليم أهل البيت عليهم السلام إيّانا وهي السدس الرابع من الليل.

(١) صحيح مسلم: ج٢ ص١٧٥.

أفضل الليالي والأوقات لإحياء الليل

إن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل والتي يتأكد فيها استحباب الإحياء في السنة سبع ليالٍ لا ينبغي أن يغفل المريد عنها، فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح. وتلك الليالي هي:

١ ـ ليلة التاسع عشر من شهر رمضان وهي الليلة الأولى من ليالي القدر.

٢ ـ ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان وهي ليلة القدر الثانية.

٣ ـ ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان وهي ليلة القدر الثالثة.

٤ ـ ليلة النصف من شعبان.

٥ ـ أول ليلة من رجب.

٦ ـ ليلة الفطر.

٧ ـ ليلة النحر.

فعن النبي ﷺ:

«من أحيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[1].

---

(١) ثواب الأعمال: الصدوق ص٧٥.

وأفضل وقت لصلاة الليل هو آخر الليل، فعن الإمام الهادي عليه السلام قال:

«إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر، ولكن ضجعة بلا نوم فإن صاحبه لا يحمد على ما قدم من صلاته»[1].

وسئل الإمام الصادق:

«متى أصلي صلاة الليل؟ فقال: صلّها آخر الليل»[2].

وعن الصادق عليه السلام أيضاً قال:

«أما يرضى أحدكم أن يقوم قبل الصبح ويوتر ويصلّي ركعتي الفجر فيكتب له صلاة الليل»[3].

---

(١) الكافي: ج١ ص١٧٤.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٣١.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٣٣.

الفهرس

مقدمة ٥
مخاطر اللسان وفضيلة الصمت ٧
سبب فضيلة الصمت ١٢

آفات اللسان

١ ـ الكلام فيما لا يعني الإنسان ١٧
٢ ـ فضول الكلام ٢٠
٣ ـ الخوض في الباطل ٢٢
٤ ـ المراء والمجادلة ٢٤
حد المراء ٢٥
٥ ـ المخاصمة ٢٨
٦ ـ التشدّق بالكلام ٣١
٧ ـ السبّ وبذاءة اللسان ٣٣
٨ ـ اللّعن ٣٧
٩ ـ الغناء والشعر ٤٢
١ ـ الغناء ٤٢
٢ ـ الشعر ٤٤
١٠ ـ المزاح ٤٨
١١ ـ الاستهزاء وإفشاء السرّ ٥١
١٢ ـ الوعد الكاذب ٥٣
١٣ ـ الكذب في القول واليمين ٥٦
الأمور التي رخّص فيها الكذب ٦١
١٤ ـ الغيبة ٦٧
معنى الغيبة وحدّها ٧٢

الأسباب الباعثة على الغيبة ٧٧
الأول: إشفاء الغيظ ٧٧
الثاني: الموافقة والمجاملة ٧٧
الثالث: الدفاع عن النفس ٧٧
الرابع: التبرؤ ٧٨
السادس: الحسد ٧٨
السابع: اللعب ٧٨
الثامن: السخرية والاستهزاء ٧٨
الأول: التعجب ٧٩
الثاني: دعوى الرحمة بالآخرين ٧٩
الثالث: دعوى الغضب لله ٧٩
علاج الغيبة ٨٠
حرمة الغيبة بالقلب ٨٤
الأعذار المرخّصة في الغيبة ٨٦
الأول: التظلّم ٨٧
الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ٨٧
الثالث: الاستفتاء ٨٧
الرابع: تحذير المسلمين من الشر ٨٨
الخامس: اللقب ٨٨
السادس: المجاهرة بالفسق ٨٨
كفارة الغيبة ٨٩
١٥ ـ النميمة ٩١
حدّ النميمة وما يجب في ردّها ٩٣
١٦ ـ ذو اللسانين ٩٧
١٧ ـ المدح ٩٩
١٨ ـ السؤال قبل الأوان ١٠٢
١٩ ـ خطأ الكلام في أمور الدين ١٠٤

آداب القرآن

مقدمة ١٠٩
فضيلة القرآن ١١١
ذم تلاوة الغافلين ١٢١
الآداب الظاهرية لتلاوة القرآن ١٢٤
الأول: الوضوء ١٢٤
الثاني: استقبال القبلة على هيئة الأدب والسكون ١٢٤
الثالث: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والدعاء أثناء القراءة ١٢٧
الرابع: الترتيل وتحسين القراءة ١٢٩
الخامس: الجهر بالقراءة ١٣٣
السادس: البكاء ١٣٥
السابع: المواظبة على القراءة ١٣٦
الثامن: مراعاة حق الآيات ١٣٧
التاسع: الإنصات ١٣٨
الآداب الباطنية لتلاوة القرآن ١٣٩
الأول: معرفة عظمة كلام القرآن ١٣٩
الثاني: تعظيم المتكلّم ١٣٩
الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس ١٤٠
الرابع: التدبر ١٤١
الخامس: التفهّم ١٤١
السادس: التخلّص من موانع الفهم ١٤٤
الأول: الاهتمام الزائد بمخارج الحروف ١٤٤
الثاني: التقليد والتعصب ١٤٥
الثالث: الذنوب والمعاصي ١٤٥
الرابع: شبهة التفسير بالرأي ١٤٦
السابع: تطبيق القرآن على النفس ١٤٧
الثامن: التأثر والاتعاظ ١٤٩
التاسع: الترقّي ١٥٢
العاشر: التبرّي ١٥٣

شبهة التفسير بالرأي ١٥٦

الذكر والدعاء

مقدمة ١٦٥
فضيلة الذكر في الآيات والروايات ١٦٦
فضيلة مجالس الذكر ١٧٢
فضيلة التهليل والتكبير والتحميد ١٧٥
حضور القلب أثناء الذكر ١٨٤
فضيلة الدعاء ١٨٩
آداب الدعاء ١٩٤
الأول: ترصد الأوقات الشريفة ١٩٤
الثاني: اغتنام الأحوال الشريفة ١٩٦
الثالث: استقبال القبلة ورفع اليدين ١٩٧
الرابع: خفض الصوت ٢٠٠
الخامس: الإسرار بالدعاء ٢٠١
السادس: عدم تكلف السجع. ٢٠٢
السابع: أن لا يسأل حراماً ولا يتجاوز حدّاً ٢٠٢
الثامن: التضرّع والخشوع والرهبة ٢٠٣
التاسع: الجزم واليقين بالإجابة ٢٠٤
العاشر: الإلحاح ٢٠٥
الحادي عشر: افتتاح الدعاء بذكر الله ٢٠٧
الثاني عشر: التوبة وردّ المظالم ٢١٠
الثالث عشر: تسمية الحاجة ٢١٢
الرابع عشر: التعميم في الدعاء ٢١٣
الخامس عشر: الاجتماع في الدعاء ٢١٣
السادس عشر: البكاء ٢١٤
السابع عشر: الإقبال بالقلب ٢١٦
الثامن عشر: الدعاء في الرخاء قبل وقت البلاء ٢١٧
التاسع العشر: الدعاء للأخوان ٢١٨

العشرون: الإتكال على الله وحده ٢٢٠
وصية الإمام الصادق عليه السلام ٢٢١
فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٢٣
فضيلة الاستغفار ٢٢٨
الدعاء والقضاء الإلهي ٢٣٢
بعض الأدعية المأثورة ٢٣٤
إذا أصبح أو أمسى ٢٣٤
عند الصلاة ٢٣٧
دعاء جامع ٢٣٨
دعاء التوبة وطلب العافية ٢٤٥
أدعية النوم ٢٤٧
أدعية الذهاب إلى المسجد ٢٤٩
أدعية الدخول والخروج من المنزل ٢٥١
أدعية تناول الطعام ٢٥٢
أدعية السوق ٢٥٣
دعاء النظر إلى السماء ٢٥٤
عند وقوع البلاء ٢٥٥
أدعية متفرّقة ٢٥٨

الأوراد وإحياء الليل

مقدمة ٢٦٣
فضيلة الأوراد وعددها ٢٦٥
أوراد النهار ٢٧٠
الورد الأول: ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس ٢٧٠
الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار ٢٧٩
الورد الثالث: ما بين ضحوة النهار إلى الزوال ٢٨٠
الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبتها ٢٨١
الورد الخامس: ما بين الفراغ من صلاة الظهر إلى العصر ٢٨٢
الورد السادس: دخول وقت صلاة العصر ٢٨٤

الورد السابع: عند الغروب ٢٨٥
أوراد اللّيل ٢٨٧
الورد الأول: من غروب الشمس إلى غيبوبة الشفق ٢٨٧
الورد الثاني: وهو ما بين دخول وقت العشاء إلى حد نوم الناس ٢٩٠
الورد الثالث: النوم ٢٩١
الورد الرابع: بعد النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه ٢٩٢
الورد الخامس: وهو السدس الأخير من الليل ٢٩٥
اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ٢٩٩
١ ـ حال العابد ٢٩٩
٢ ـ حال العالم ٣٠١
٣ ـ حال المتعلم ٣٠٢
٤ ـ حال المحترف ٣٠٣
٥ ـ حال الوالي ٣٠٤
٦ ـ حال الموحّد ٣٠٥
آداب النوم ٣٠٨
الأول: الطهارة والسواك ٣٠٨
الثاني: ينوي القيام للعبادة ٣٠٨
الثالث: أن لا يبيت إلا ووصيته مكتوبة عنده ٣١٠
الرابع: التوبة ٣١٠
الخامس: عدم الاهتمام بتمهيد الفرش الناعمة ٣١١
السادس: أن لا يتكلّف النوم ٣١١
السابع: النوم مستقبل القبلة ٣١٢
الثامن: الدعاء عند النوم ٣١٣
التاسع: التذكر ٣١٤
العاشر: الدعاء عند التنبّه ٣١٥
فضيلة قيام الليل ٣١٦
الأسباب المعينة على إحياء الليل ٣٢٥
أفضل الليالي والأوقات لإحياء الليل ٣٢٩